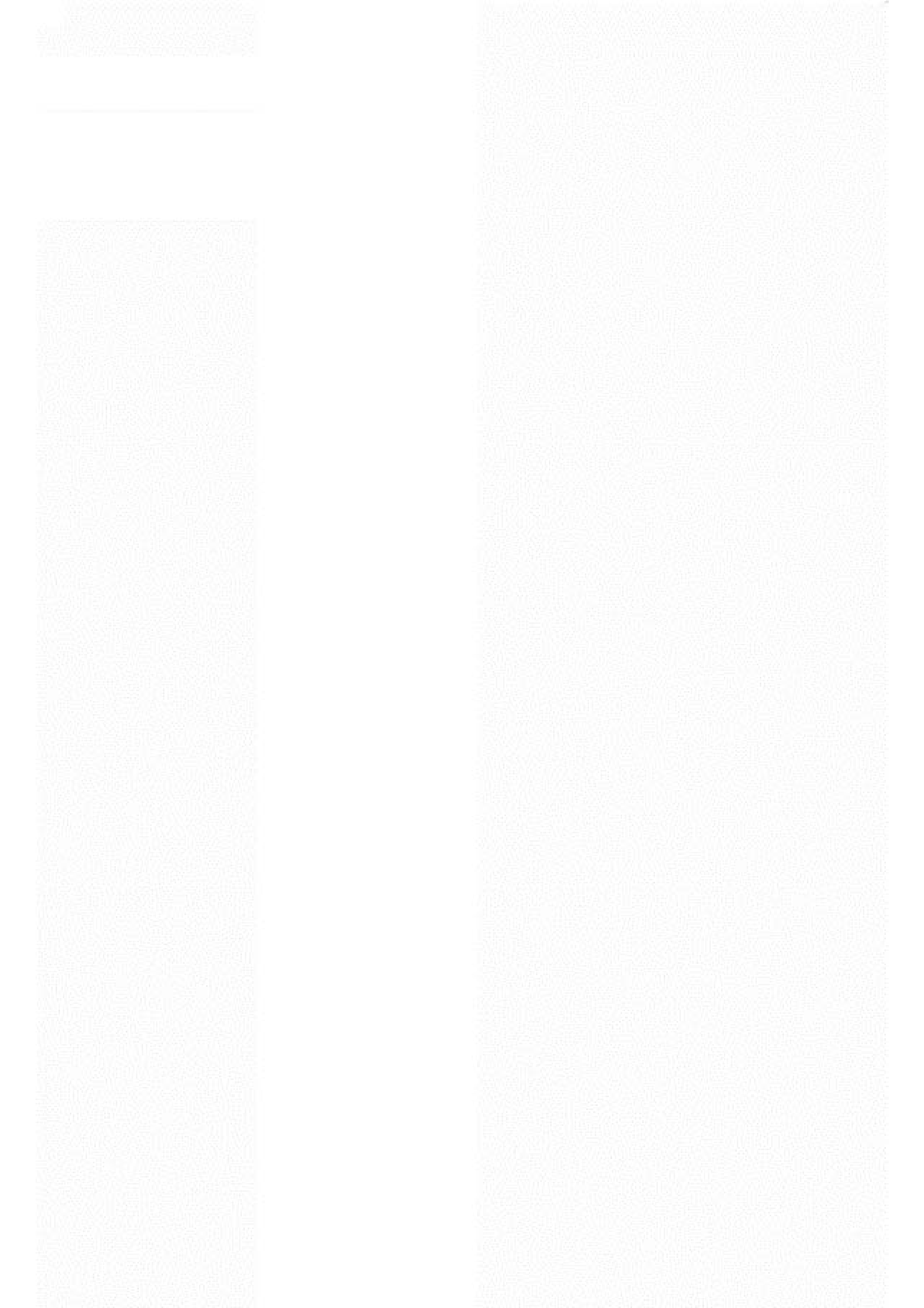




ديوان

هدية الكروان





عباس محمود العقاد

هدية الكروان



عنوان الكتاب: هدية الكروان
اسم المؤلف: عباس محمد العقاد
تاريخ النشر: مارس ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٣٩٨٠ /١٩٩٦ .
الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0538 - 1
تصميم الغلاف: م. محمد العتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢
ص.ب: ٩٦ الفجالة
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢
ص.ب: ٢٠ امبابة

مقدمة

فى اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف ، وكانت لياليهما السواحر الحسان ، وكان هتاف الكروان الذى لاينقطع من الربيع إلى الخريف ، ولايزال يتردد حتى يسكته الشتاء ، وأكثر ما يسمعه السامع فى حوافى مصر الجديدة حيث أسكن وحيث يكثر هذا الطائر الغريب ، لأنه يألف أطراف الصحارى على مقربة من الزرع والماء ، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التى كان يسكنها الزهاد بين الصحراء والنيل ، فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب .

ولى بالكروان ألفة من قديم الأيام ، نظمت فيه القصيدة النونية التى أقول فى مطلعها :

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتا يرفرف فى الهزيع الثانى

وأودعتها الجزء الأول من الديوان .

ثم أعادنى طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه ، فاجتمعت عندى قصائد عدة فى مناجاته ، وكأننى كنت أعارضه وأساجله بكثير من القصائد الأخرى التى اشتملت عليها هذه المجموعة ، فصح على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله «هدية الكروان» .

ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام ، فأما غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا ، لأننا نتكلم عما فيه من شعر يوحى الشعر ، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان .

تسمعه الفينة بعد الفينة فى جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار ، فيشبِّه لك الزاهد المتهجد الذى يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة ، ويشبه لك الحارس الساهر الذى يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة ، وينطلق بالغناء فى مفاجأة منتظرة أو انتظار مفاجئ فلا تدرى أهى صيحة جذل أم هى صيحة روعة وإجفال ، ولكنك تشعر بالجذل والروعة والإجفال تتقارب وتتمازج فى نفسك حتى لاتتفرق ، كأنك تصغى إلى طفل يرتاع وهو جذلان ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه لأن للخطر فى حسه طرافة وحركة ، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص .

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك ، وعن اليمين وعن الشمال ، وعلى الأرض وفوق الذرى ، فيخيل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لايقيده المكان ولايعرف المسافة ، أطلقوه فى الدنيا على حين غرة فسحرته فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل ، فهو لايعرف القرار ولايصبر فى مطار ، فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالما من معان وأشجان يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الأمين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال : عالم لانظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار .

ومن العجيب أنك لاتقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون ، على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! .

وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ماتُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ولايلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون .

وليس عن تعصب منا للوطن نؤثر الكروان على البلبل وما إليه ، لأن التعصب الوطنى على هذه الصورة حماقة لامعنى لها فى الشعر والشعور ، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق ، أما الإعجاب بالطير الذى لانسمعه فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالى وتؤذى النفس كما يؤذيها كل تصنع لاحقيقة فيه ، وأخف موقع له فى نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية .

كذلك الأصم الذى أراد أن يخفى صممه فى مجلس الغناء ، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان ، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولاسامعين ! .

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه فبماذا عساه يشعر؟ إن الطير المغرد هو الشعر كله لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية ، فمن لم يأنس به لم يأنس بما فى هذه الدنيا من طبيعة شاعرة ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير .

والطير بعد هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان ، فهو

عند الشاعر وثيقة لايعرض عنها ولايفلتها من يديه ، فإذا قال الجفاة الجامدون : إن الشعر لغو فى الحياة ، قال الشاعر : إن التعبير الموسيقى عنصر من عناصر الطبيعة ، وإن الطير يغنى ويهتف ، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن ، كأن الغناء والتعبيرعن الشعور هما غاية الحياة القصوى ، لاينساها الحى إلا لعائق يشغله ويغض من حياته .

والجفاة الجامدون يقولون كثيرا عن الشعر فى الزمن الأخير : يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذى تفيض به الطبائع الحية ولاسيما الأحياء المغردة الطائرة ، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكل أمة ولكل قبيلة ولكل لغة ، فلو كان شيئا عارضا فى الحياة الإنسانية لما وجد حيث توجد الحياة الإنسانية ، ولو كانت الموسيقية نافلة فى الدنيا لما وجدت فى أمة الطير ، وإذا وجدت فى لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانى وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان ؟ .

فبين الطائر المغرد والشاعر الشادى محالفة طبيعية لا تحنث فيها الطير ولاتقصر فى إسداء حصتها الخالدة ، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفى كل دينه ولن يستنفد كل حصته ، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التى يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء .

عباس محمود العقاد

الكروانيات

هتفات الكِرْوان[1] بالليل تترى

ومعانى الربيع نورًا وعطرا

وجمال الحياة حبًا وحسنًا

وشبابًا يفيض عطفًا وبشرا

بتُّ أصغى لها ، وأقبس منها

ثم ترجمتها لمن شاء شعرا

---

(١) جمع كروان ، بفتح الكاف والراء .

الكروان المجدد

قبل عشرين سنة نظم صاحب الديوان قصيدة «الكروان» وفيها هذه الأبيات :

هل يسمعون سوى صدى الكروان

صوتًا يرفرف فى الهزيع الثانى

من كل سارٍ فى الظلام كأنه

بعض الظلام ، تَضله العينان

يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه

موج الدياجر ، دعوةَ الغرقان

. . . .

. . . .

ما ضر من غنى بمثل غنائه

أن ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا فى الحياة كثيرة

الخوف فيها والسَّطا سيان

* * *

يا محيىَ الليل البهيم تهجدًا

والطير آوية إلى الأوكان

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعًا

من نابغ فى غمرة النسيان

قل يا شبيه النابغين إذا دعوا

والجهل يضرب حولهم بجران

كم صيحة لك فى الظلام كأنها

دقات صدر للدُّجنَّة حان

هن اللغات ولا لغات سوى التى

رفعت بهن عقيرة الوجدان

إن لم تقيدها الحروف فإنها

كالوحى ناطقة بكل لسان

أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى

بث الحزين وفرحة الجذلان

* * *

وفى هذا العام نظم صاحب الديوان القصيدة التالية ليقول فيها : إن ما سمعه من الكروان أولا غير ما سمعه آخرا ، وإن الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير!

وهذه هى القصيدة :

زعموك غير مجدِّد الألحان

ظلموك ، بل جهلوك ، يا كروانى

قد غيرتك ، وما تغير شاعرا

عشرون عاما فى طراز بيان

أسمعتنى بالأمس ما لا عهد لى

بسماعه فى غابر الألحان

ورويت لى بالأمس مـــا لم تروه

من نغـمـة وفـصـاحـة ومـعـان

* * *

شكواى منك ، وإن شكرتك ، أنه

سـر تصـر به على الكتمـان

شكرى إليك ، وإن شكوتك ، أنه

سـر تؤخـره لخـيـر أوان

كنز يصان فـهـات من حـبـاته

ذخـر القلوب وحليـة الآذان

* * *

أنـا لا أراك! وطـالما طـرق النُّـهـى

وحىٌ ، ولم تظفـر به عـينان

أنا فى جناحك حيث غاب مع الدجى

وإن استقـر على الثرى جثمانى

أنا فى لسانك حيث أطلقه الهوى

مـرحـا ، وإن غلب السرور لسانى

أنا فى ضميرك حيث باح فما أرى

سـرا يغيبه ضـمـيـر زمانى

أنا منك فى القلب الصغير ، مساجل

خـفق الربيع بذلك الخـفـقـان

أنا منك فى العين التى تهب الكرى

وتضن بالصحـوات والأشـجـان

طِرْ فى الظلام بمهجة لو صافحت

حجر الوهاد لهمَّ بالطيران

تغنيك عن ريش الجناح وعزمه

فرحات منطلق الهوى نشوان

فرحات دنيا لايكدر صفوها

بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتنى بالأمس سِرك كله :

سرٌّ السعادة فى الوجود الفانى

سرُّ السعادة نفرة ومحبةٌ

فيكم تؤلف نافر الأوزان

الكون أنتم فى صميم نظامه

وكأنكم فيه الطريد الجانى

أنتم سواء كالصديق وبينكم

بعدٌ كما يتباعد الخصمان

لايحمل الطيار وزر العانى

حمل ابن آدم عشرة الأخوان

لا عالم منكم ولامتعلمٌ

كلا ! ولا متقدم أو وان

متشابهين على الحياة فكلكم

سارى ظلام ، هاتف بأغان

متفرقين على المقام ودأبكم

عند الرحيل تجمع القطان

وكـــأنما نســـخت لكل نســـخـــة

من هـذه الأجـــــــــواء والأوطـان

فـهـو الشـريك على نصيب واحـد

وهو الوحــيــد فـــمـــا له من ثان

ذخـر الطبـيـعـة منه تعطون الحجى

لا من ســـبـــــاق بينكم ورهان

* * *

أنتم بنى الطيـر المسبّح فى الدجى

فـــيكم كــهـــانة صـــالح الكهـــان

بعـتم كـرى الغـــافى وطِيبَ رقــاده

وبه اشـتــــريتم يقظة اليـــقظان

قل مـا اشـتــهـيت القـول يا كـروانى

فـى لـهـــــــو ثـرثـار وحـلـم رزان

ســأعـيش مـثلك لى وللدنيـا مـعًـا

وأقـــول مـــثلك كــيـف يزدوجـــان

وأظل تزدحـم الحـــيـــاة بمهـــجـــتى

أبدا ويجـــتنب الزحـــام مكانى

فى عـــزلة أنا والحـــبـــيـب تؤمنا

دنيـــا الجـــمـــال ، ونحن منفـــردان

* * *

الليل يا كروان

الـلـيـل يـا كـــــــروان — بشـــــــراك طاب الأوان
بشـــراك ؟ بل أنت بشـرى — تهـــفـــو لهـــا الآذان
ســهـــران فى الليل شـاد — فكلنا ســــهــــران
وإن تكن أنت حلمًــــاً — فــكــلُــنــا وســنـــان
وسنان لم يـشـــهُ قلب — لـه ولا أجــــفـــــان
النوم فى الصــيـف وزرٌ — وفى الـهـوى كـــفــران

* * *

الـلـيـل يـا كـــــروان — مـــا أنت والنســـيـــان
حـــاشـــاك مـــا أنت ســـاه — عنه ، ولا كـــســـلان
الليل ذكـــرى وأنت الــ — ـمـذكـــر اليـــقظان
لـكـنـمـــــا أنـت روحٌ — وهــل لــروح مــكــان ؟
بينا يقـــال قـــريبٌ — كـــأنـه الـوجـــدان
إذا بــه فـى صـــــداه — كـــأنه كـــيـــوان [1]
إن كـــان فى الســمع طيف — فـــأنت يا كـــــروان
صـــوت ولا جـــثـــمـــان — لحن ولا عـــيــــدان
كــــــأنه هاتف فى — فــضــائه حـــيـــران
أو رجع صـــوت قـــديم — يعـــيـده الحــســبـــان

* * *

الـلـيـل يـا كـــــروان — فـــأين منك البـــيـــان ؟

---

(١) النجم عطارد ، وهو إله الغناء والفنون فى عرف الأقدمين .

ليل الطبيعة صمتٌ — وأنت فيه لسان
وظلمة الليل سرٌّ — فاقرأه يا ترجمان
ما فى الظلام ظلام الحـ — ـياة لو يستبان
إلا صياح اشتياق — تروضه ألحان
نصف الحياة اضطراب — ونصفها أوزان [1]

* * *

الليل والصيف والحب — كلهن أوان
وأنت منهن طراً — على وعود تصان
خذ صمتهن وصغه — شدوًا له سريان
غص فى قرار الدياجى — فللدجى شطآن
واستقبل النجم علوا — إن النجوم حسان
وخذ من الصيف نارًا — لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دورًا — دارت له الأكوان
فى الأرض بيتك ثاوٍ — وفى السماء افتنان
وبين ذلك ملهىً — للحب ، بل ميدان
واللهو فى الحب فاعلم — كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا — يا ابن الليالى أمان
شادى الغرام له من — سكر الغرام ضمان

* * *

الليل يا كروان — والعالم الغفلان

---

(١) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع ، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم ، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن ، والشعور الفنى هو الحياة الكاملة .

ونسمة الصيف تسرى وفى يديك العنان
والصبح أول مرسى يرتاده الركبان
ألا تزاور[1] عنه فى الرحلة الربان ؟!
وما ارتضاه ولكنـ ـما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفسًا عزيزة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى إلى غد أو أذان
الليل يا كروان ! الصبح يا كروان !

* * *

سؤال الكروان

حذار البأس أو حب الجمال
هتافك فى الدجى يا ابن الليالى؟
ومن يقظات نفس فيك نشوى
تعاف النوم أم من سوء حال
وعندك للنجوم هوى قديمٌ
أو أنك كارهٌ للصبح قال
وهذا الطير ينعم فى ضحاه
فمالك فى النعيم بلا مثال ؟
أضل الطير ويحك عن هداه
أو أنك أنت وحدك فى ضلال.؟!

---

(١) تزاور : انحرف وأعرض .

وأين من الضلال هتاف حر
تنزه عن نشوز وابتذال

* * *

وقالوا ما شدا الكروان إلا
ليسأل عرسه قوت العيال
وقالوا تسرق الأعشاش عمدًا
على كسل وضعف فى الخصال
وإنك بالتراب شبيه حال
وبالديدان منهوم مغال
سألت وما أرى لك من جواب
سوى اللحن الشجى على سؤالى
سأسمع منك أنغام الليالى
وأسمع عنك أشتات المقال
ولا آلوك إصغاء ووصفًا
كلا الأمرين من همى وبالى
أبا الكروان - يا مظلوم - تدعى
وأنت عن الكرى المحبوب سال ؟ !
بحسبك أنهم كذبوك جهرا
وأنك صادق الهتفات عال
وأنك مفرد فى الطير لحنا
وما استفردت فى تلك الخلال
إذا شابهتها فى النقص حينا
فأين المشبهاتك فى الكمال

غنِّ يا كروان

قم غـن يـا كـــــــروان غـنِّ
وتمـنَّ فـى الـدنـيـــــا ومنِّـى
وأمـن دجـــاك وإن عـــرفـ
ـتك فـى الحــيـــاة قليل أمن
فــيم المخــافــة يا ســمــيـ
ـر الليل أو فــيم التــجنى ؟
لا أنت جــزل فى الصـحــاف
ولسـت فـى قـــفـص تُغـنِّـى
كــلا ولا فى خــافــقــيـ
ـك الحــائلين بريق حــسن
والصـــقـــر نام وأنت وحـ
ـدك تمـدح الـدنـيـــا وتـثـنـى
لـك كـل مـــا دون الـكـوا
كب من ســمــاك الليل مـبنى
فـــأمـن زمـــانك أو فـــخـف
فـــالطبـع دون الـرأى يـغـنـى
إنـي أخـــــالـك لـو أمنـ
ـت لما هتــفت لنـا بلـحن

***

ما أحب الكروان !

مـــــــا أحب الـكـروان !

هل ســمــــعت الكروان ؟

* * *

مــوعــدى يا صــاحــبى يوم افــتــرقنا

حــيث كــانت جــيــرة أو حــيث كنا

هاتف يهــتـف بالأســمـــاع وَهْنا (1)

هـو ذاك الـكـروان ، هـو هـذا الـكـروان !

* * *

الكـراوين كـــثـــيـــر أو قـليل

عندنا أو عندكم بين النخـــيـل

ثم صـــوت عـــابر كل ســبـيـل

هو صـوت الكروان فى سـبيل الكروان

* * *

لى صــدى منه فـــلا تنس صـــداك

هو شــــاديك بـلا ريـب هـنـاك

فـــإذا مـــا عـــســعس الليل دعـــاك

ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكروان ؟

* * *

---

(1) الوهن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

مـــــفــــــرد لكنه يؤنسنا
ســــاهر لكنه ينعــــــسنا
صـــدحت فى نفــســه أنفــسنا
فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان !

* * *

واحــــد أو مـــــائة ترجــــعــــه
عندنا أو عندكم مطلعــــــــه
ذاك شىءٌ واحـــد نســمـــعــه
فى أوان وبيـــان ، هو صــوت الكروان

* * *

واحــدٌ بين عـــصــور وعـــصــور
نحن نستـتــحـيى به تلك الدهور
لم يفــتنا غـــابر الدنيـــا الغــرور
فى أوان الكروان ، مــا أحب الكروان !

* * *

على الجناح الصاعد

حـــادى الظلام على جناح صــاعــد
يا أرض اصغى ، يا كـواكب شاهدى !
يا آنسين بصــحــبــة من وجــدهم
نصـوا المســامع للأنيس الواجــد

يا ساهدين على انفراد فى الدجى
ردوا التحية للفريد الساهد
المستعز بعرسه ، وكأنه
منها نجى مغاور وفراقد
لهجت طيور بالضحى وتكفلت
بالليل حنجرة المغنى الخالد
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أبدا ، وما هو آمن لمساعد
أنا صائد لصداك ، لست بصائد
لك أنت يا كروان ، فأْمن صائدى
بينا أقول هنا إذا بك من هنا
فى جنح هذا الليل أبعد باعد
وودت يا كروان لو ألقيت لى
صوتين منك على مكان واحد
إن كنت تشفق أن أراك فلاتزل
فى مسمعى وخواطرى وقصائدى
عاهدت هذا الصيف لست بواهب
سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كان قد أغنى الطبيعة كلها
مغنى عن شاد سواه وشائد

* * *

ألف صدى

ألف صـــدى لهـــاتف منفــــرد على الذرى ؟
أم ألـف شــــاد رددت هتـــافــهـــا مكررا
أم ذاك روح أطـلقـــو ه فى الدنى مــحـــيــرا
فـــرادها مـــســتـغـربا وطافــهــا مــستـبـشـرا
فـــلايقــــال مـــقــبل حـــتى يقـــال أدبرا
هن كـــــراوين الـليـــــا لى أو فـــقل هو الكرا[1]
لانـقـص إن قـلـت ولا مـــزيد فى أن تكـثــــرا
باركـــهـــا من بارك الخلـ ـد ومـــا قـــد أثمـــرا

* * *

شدو الآمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سـفـرا
ولف ظلمــاءه أو أطلع القــمـــرا
مـا أنت بالليل مـفـتـونا ، ولا كلفا
بالنجم ، أو بظلام الليل حين سـرى
وإنما أنت مــفــتـــون بعــزلتــه
وبالأمـــان الذى تلقـاه مـسـتـترا

---

(١) الكرا : ذَكَر الكروان .

وبالحـبـيـب الذى يدعـوك مـرتفـعـا
في سـاحـة الليل ، أو يدعـوك منحـدرا
إذا شـدوت فـمـا أدرى أذو كلف
ناغى الهـوى أم نذير فـاجـأ الخطرا
سـيـان يا كـروانى القلب مـسـتـعـراً
بالشـوق أو بضـرام الخوف مـسـتـعـرا
إن كـان شـدوك أمنًا فـاشـدُ فى دعـة
أو لا فـلازلت مـذعـور السُّرى حـذرا !

لمن الفضل ؟

كـروان الليل رتل للهـوى	آية الحمـد . وحمـد الفطن
هو أغـراك بشـدو وثنى	لك سمع العـاشق المفـتتن
لك إلفٌ منه تستوحى ، ولى	أنا إلفٌ وحـيـهُ ينطقنى
أنت لولا نفـحـة من حـبـه	ساكن عندى ، وإن لم تسكن
صامت الفن ـ أخا الفن ـ وإن	صـدحت ألحـانه فى أذنى
غار حبى منك فاسمع إننى	عنه أروى كل شىء حـسـن
وله الفـضل ومنه الوحى لا	منك فى كل مـقـال بين

* * *

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته .

القمارى العارفة

ملأت دارى القمارى غناء
ويحها ! هل يكشف الطير الغطاء
عرفت عندى ربيعا بعدما
رهبت من ظلمة الدار الشتاء
عرفتنى العام أم كانت هنا
كل عام تمنح الدار الولاء
لم أكن أحفلها حتى إذا
صدح الحب تسمعت الغناء !

ببغاء [1]

ببغاءٌ ترنمتْ	بمديح البلابل
أين منا بلابلٌ	مسرعات المراحل
فى سماوات موطن	ليس منها بآهل
بالكراوين عامر	والقمارىّ حافل
ناج ما أنت سامعٌ	يا أسير الأوائل
اسلُ عن عاجل بذى	صحبة غير عاجل
ما اشتغالُ بمورد	لستَ منه بناهل

---

(١) الببغاء تحكى ما تسمع دون أن تعقل ، وكذلك يكون الشاعر الذى يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه ، فهو فى مصر نادر لايزورها إلا فى رحلة عاجلة .

وانصــــراف عن الـذى أنت منـه بســـــاحـل
أنــت عـــنــدى بــذا وذا جـــاهلٌ أى جـــاهـل
ناقلٌ لهــفــة الصــدى[1] أو شــبــيــه بناقل
فـى الكراوين غنيـــةٌ عن نشــيــد البـلابل
والقـــمـــارىُ مـــالهـــا ؟ أصغ واســمع ، وســائل
إن تعـــدّاك قـــولهــــا فــالتـمس وصف قــائل

* * *

شدو لا نوح

شــدوُ القــمــارىِّ لا نوح القــمــارىِّ
هل يعبر الحزن بالشادى الصبـاحىِّ؟
أو الربيـــــعىِّ فى أنس وفـى أمل
وفـى غـــرام على الإلفين مطوىِّ ؟
يا حـسنهـا من بشـيـرات على دعـة
كــأنهـــا أمنت فـــوت الأمـــانىِّ
مــحــبَّبــات إلى الإنســان تألفــه
وتـعـــــتلـى مـن ذراه كـلَّ علـوىِّ
تهـوى الديار ، وفى الآفـاق مطلعـهـا
مـابالهـا ؟ هل سبـاها حسن أنسىِّ؟
ولـلأنـاسىِّ حـــــسنٌ لا أبوح بـه!
هل تعرف الطير مـا حسن الأناسى ؟

---

(١) الظمأ .

غنّتْ لزهر وسلســـال ولو رشــفت
زهر المبـــاسم جُنَّت بالأغـــانىّ
أوْلى لقُــمــرِيِّنا أن لايحــوم على
يأس الهــوى بين أنسى و«طَيْــرىّ»
غَـرِّدْ على الدور يا قـمــرىُّ فى دعــة
واسلم هنالك من باك ومـــبكىّ
واتلُ الرجـــاء على هذا وذاك ، ولا
تسألهما عن جوى فى القلب مخفىّ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها
من سلوة ، أن فـيـهـا شـدو قـمـرىّ

* * *

شفاعة للغراب

حيَّى الغراب الفجرَ بالنعيب	تحية التهليل والترحيب
وافترَّ نور الفجر كالمجيب	فى غير ما لوم ولا تثريب

لهاتف ناداه من قريب

* * *

ماذنب ذاك الناعب المسكين	ألا يحيى النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ؟	ألا تدين كلها بدين ؟

فماله يُعذل كالرقيب ؟!

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصَّيدحُ الهاتف بالعجاب أصدق حبًّاً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعهُ والطير في أوان وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجاني
صوت حبيبي باديَ الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وما له في الحسن من نصيب

* * *

أمنت منه لوعة الفراق وكلُّ غاق عنده وقاق
فلايزل ينعم بالإشفاق من الرياض الفِيح والآفاق
ومنك يافجر ، ومن حبيبي

* * *

عادات الغراب

بئس الغراب إن ذكرتُ بصوته
عطف الحبيب عليه كلَّ صباح
أبدًا يقاطع كل شاد حوله
كمعطِّلي الإنشاد في الأفراح
فإذا شدا الكروان أتبع شدوه
بصياح شؤمٍ منه أو بنواح
وإذا ترنَّمتْ القماريُّ انبرى
مابين تنعابٍ وخفق جناح

حـــسـدًا ولؤمًـــا ، أو غـــرورًا لم يزل
دأب الحـــســـود وديدن الملحـــاح
لاعـــاد فـــرعٌ كـــان ينعب فـــوقــه
فـــرمـــتـــه فـــأس الحـــاطب المجـتـــاح

***

نعب على عشه

هدمـــوا دار الغـــراب وابـتـلوه بـاالخـــــراب
قطعـــوا الدوحـــة قطعـــا ورمـــوها فى التـــراب
ليت شـــعـــرىَ من هُنا النا عـب يـا رب النُّعــــاب
لستَ بالمأمـــون فـــاذهـب غـــيـــر مـــبكىٍّ الذهاب
أنت آذنت بـخـــــوف فـى هوانا وارتـيـــــاب
لم تصن عـــهـــدًا لمن حـــا طك بالعطف العـجـــاب
لحـــبـــيـــب باتَ يرثـى لك من سخـر الصحـــاب
فـــامض فى غـــيـــر وداع وأنا فى غـــيـــر اقـــتـــراب
وخـــذ الغـــربان طرًا مـــؤنســـات فى الركـــاب

من ذوات العش فى النفــــس وفى هذى الرحـــاب
رب شك هو فى الأنفــــس شـــر من غـــراب !

***

سحر الطير

كل إلف له من الطيـــــر إلف

هكذا تجمل الحيـــا وتصفـــو

أمـلٌ يـرتـقـى ، وحـبٌ يـنـاجـى

ولســـــان يشــــدو ، وقلبٌ يرف

بك خفةٌ الجناح يا أيهــــا الطـ

ـيـــر ، ومــــا كنت بالجناح تخف

لطف روح أعـــار جنبيك ريشًـــا

فـــمن الروح لامن الريش لطف

ليس ينميك للســمـــاء جناح

بل غناءٌ عن الضـــيـــاءِ يشف

إن مـضى الناس يعجبون قديمًا

كـيف تعلو ؟عـجـبتُ كـيف تُسف

ثقلةٌ فى الحـــيـــاة لم ينج طبعٌ

من عـــراقيلهـــا ولم يخلُ عـــرف

* * *

غـزل ومناجـاة

ارتجال المنى

منِّنى أطيب المنى يا حبيبى		فالمنى وحدهن منك نصيبى
إن يَفُتنا منالها لم تفتنا		نظرة من خيالها المرقوب

* * *

منِّنى ، بل دع المنى يا حبيبى		فشقائى فى الموعد المكذوب
هان فقد المنى التى لم تَعِدنا		وافتقاد الموعود جد صعيب

* * *

أعطنى! أعطنى إذن يا حبيبى		غير ما ناكث ولا مستجيبِ
أعطنى صفوك ارتجالا ودعنا		من مطال بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحب لنفس		شبعت من رويَّةِ التجريب

* * *

متى ! [1]

متى يا عيون يعود الضياءُ ؟		متى يا رياض يعود الربيع ؟
متى تأمرين ؟ متى تأذنين ؟		متى تقبلين دعاء الشفيع ؟

* * *

متى يرجع الغائب المرتجى		إلى صدر أم براها السقام ؟
متى يهبط النوم تحت الدجى		لعينيك يا سَاهرًا لاينام ؟

* * *

---

(١) إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه : متى يعود إليه ؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التى تتردد فى هذه القصيدة .

متى يطلع النجم للتائهين ؟ وقد غرقوا فى ليالى الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين ؟ وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ء فى الماءِ يطفئُ حر الصدى
وفى الزاد يبقى ذماء الحيا ة ، وفى الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى ؟ إى وربك قل لى متى ؟! وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى ولا من مُلاقٍ له فى غد ؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب وأنت بأحلى مثال تجود
عشية تبسم عند الودا ع وتسأل : فى أى يوم أعود !

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ قلتُ : حقاً . وزاد عندى جمالا
عجبًا لى . بل العجيبة عندى صور الكون كم يسعن كمالا
خلتُنى قد وعيتهن عِيانًا وتتبعت من وَعوها خيالا
شاعرًا عاشقًا وقارئَ كتْبٍ قرأ الكتب دارسًا ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدى صورًا ما طرقن عندىَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحب نعد الأكوان والأجيالا

* * *

النبض

رأوا فما عرفوا ، كلا ولا عجبوا

ولا دروا بالذى أرجو وأرتقب

كأنما أنا من أمسِى ومن غده

لم يختلف قط لى شجوٌ ولا طرب

فى مهجتى أملٌ فاضت بشائره

فمالهم حُجبوا عنه ، وما حُجبوا

فلو تشيم ضياءَ القلب أعينهم

لأبصروا فيه عين الشمس تقترب

كالفجر تسرى على مهل طلائعه

أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب

الحمد لله ! لا شاموا ولا نظروا

ولا درى جاهلٌ منهم ولا أرِبُ

لو أبصروا الموعد الموموق مقتربا

لجفَّلته إذن من لؤمهم رِيَب

وهبَّ للشر منهم عسكر لجبٌ

إن يطلبوه لخير عزَّهم طلب

يا أيها الناس قرُّوا فى مضاجعكم

إنى وحقِّكم أسوانُ مكتئب!

أسوان مكتئبٌ لا الحسن يفرحنى

ولا الحبيب له فى فرحتى أرب

* * *

وهاكم النبض جســــوه . أعندكم
تحت الأضـــالع قلبٌ خـــافق يثب
كـــلا وحـــقكم ! لا كـــان حـــقكم
إلا اليــمين التى يحلو بهــا الكذب !!

* * *

اليوم الموعود

يايوم مــوعــدها البــعــيــد ألا ترى
شـــوقى إليك ، ومـــا أشـــاق لمغنم ؟
شـــوقى إليك يكاد يجــذب لى غــدًا
من وكـــره ، ويكاد يطفـــر من دمى
أسرغ بأجنحـة السـمـاء جـمـيـعـهـا
إن لــم يـطـعـك جـنـاح هـذى الأنجم
ودع الشـــمـــوس تسـيــر فى داراتهـــا
وتخطَّهـــا قـــبل الأوان المبـــرم
مـــاضـــرٌ دهرك إن تقـــدم واحـــدٌ
يايوم من جـــيش لديه عـــرمـــرم

* * *

لى جَنةٌ يا يوم أجـــمـع فى يدى
مـــا شـــئتُ من زهر بهـــا مـــتـبـسم
وأذوق من ثمـــراتهـــا مـــا أشــتـهى
لاتحــتـــمى منى ولا أنا أحــتـــمى

وتطوف من حـولى نوافـر غُـصْـمـهـا

ليـست بمحـجـمـة ولست بمحـجم

وتلذُّ لـى منهـــا الوهـاد لذاذتـى

بتـــصـــعُّـــد فى نجـــدها وتسنُّم

لم أسَ بين كـــرومـــهـــا وظلالـهـــا

إلا على ثمـــر هناك مـــحـــرَّم

فكأنما هى جَنة فى طيِّــــهــــا

ركنٌ تسلل من صـــمـــيم جـــهنم

أبداً يذكِّـــرنى النعـــيمُ بقـــربهـــا

حـرمـان مـزءودٍ[1] وعُـسـرة مـعـدم

وأبيتُ فى الفـــردوس أنعم بالمنى

وكـــأننى من حـــســـرةٍ لم أنعم

* * *

يا يوم مـــوعـــدها ســتــبلغنى المنى

وتُتم لى الفــردوس خــيــر مُــتَــمِّم

لا غـــصن رابيـــة تقـــصِّـــر راحـتى

عنه ، ولا ثـمـــر يعـــز على فـــمى

ســـأظل أخطر كـــالغـــريب بجنتى

حـــتى أثوب على قـــدومك ، فـــاقـدم

فـــأبيتُ ثم إذا احـــتـــوانى أفـــقـــهـــا

لـــم أنـــهَ عـــن أمـــل ولـــم أتـــنـــدم

---

(١) المزءود : المفزع المدفوع .

فرحى بصحبك حين تشرق شمسه
فـرح الضـيـاء سـرى لطرفٍ مظلم

* * *

أمـعـيـرتى خلد السـمـاء سـمـاحـةً
صـونيـه من ولّه صـيـانةَ مكرم
رفـقـًا بخلدك أن تشـوبى صـفـوه
إن لم ترىْ رفـقـًا بمهـجـة مـغـرم

* * *

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمرْ ... نظيران يستبقان النظر
جمعتهما أنا فى لثمة ... أو البدر قبّله فابتدر ؟
فمازال يلحظه جهرة ... ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلة من أخ ... ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ... ـب ولو شئت كللته بالزهر
لكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ ... من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره ... وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى ... وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ... ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ... ة ، أنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا ... وباسمك يعذرها من عذر

شعر وشعر

أمن شـعـر ؟ نعم ! شـعـرٌ وشـعـرٌ
وخــفقٌ فى الجــوانح لا يقــر
فــمنى الوزن فى خـفـقـات قلبى
ومنك الوحى والحـسن الأغـر
وتســألنى كـأنك لست تدرى
ومـالى غـيـر مـا أوحـيتَ سـر
وأحـرى بى سـؤالك عن قـصـيـدى
فـمـا لى فـيـه ـ بل لك أنت ـ أمـر :
أنـنظم فى غـدٍ أم لات نـظم
على مـا ترتضـيـه ولات نثـر ؟
وعن شـفـتـيك لاشـفـتى أروى
عـشـيـة يلتـقى ثغـر وثغـر
فـلـقِّنِّى أجـبـك ولا تـسلنى
سـؤال الشـمس هل سيلوح فـجـر[1]

* * *

(١) ليس للشمس أن تسألنا : هل يلوح الفجر ؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هى ، وكذلك الحبيب لاينبغى أن يسأل الشاعر : هل ينظم شعرًا ، لأنه ينظمه بوحيه .

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ فى البحر والسماء
جربها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ فى الأزياء
مجوّد الإتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزَّبَد الوضّاء
زيّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسيماء
ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء
وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبّلٌ مبتسم الأضواءِ
مردّد النغام والأصداءِ
وقبلةٌ منه على رضاءِ
غنى عن الأجواءِ والأرجاءَ
وعن شآبيب من الدأماءِ[1]
وعنك يا دنيا بلا استثناء

---

(١) الشآبيب : أول مايظهر من الحسن ، وشدة اندفاع كل شىء ، والدأماء : البحر .

يــوم

ذهــب الــلــيــل ودار المــلــوان [1]
وشــدا قــبل الصــبــاح الكروان
وتحــــداه الغُــــدافيُّ [2] الذى
تبــسط الرفق عليـــه والحنان
ومــشى الصبح على مــهل كـمن
يطرق الدار على غــيــر أمـــان
وتلمــــستُ هنا تغــريدةً
فى فــمى تصــدح فى هذا الأوان
قُــبلة منك هى الفــجــر ، وفى
طيــهــا تبــدو ثناياها الحــســان
عن شـــمــالى كلمـــا ولى دُجى
وسـرى فـجـر ، وحنت شـفـتـان
وتـراءت نـظـرة نـاعــســـــة
عند أخــرى ، فــتــلاقت نظرتان

***

بأن ليلى ! لاتسلنى كــيـف بان
أنت تدرى ، فـاغــتـفـر عىِّ البـيـان
كـلمـــا يممتُ دارى قلتَ لى
أجناحـــان لنا أم قـــدمـــان ؟!

---

(١) الليل والنهار .

(٢) الغراب - راجع ما تقدم .

فأتيتُ الدار لا أحسبها
قربت قط، ودونى خطوتان
لم أكن أطلبها ويحى ولا
أطلب المهربَ منها حيث كان
أين أمضى ؟ أين تحدونى الخُطا ؟
ضاقت الدار، وضاق المشرقان
راعنى نقصٌ بعينى ويدى
وفمى الصادى، وقلبى، واللسان
خلتُنى بُدلّت منها غيرها
ولو استبدلها الخطب لهان
أهزيعٌ منك يا ليل مضى ؟
أمضى نصف ؟ أما ينشطران ؟
بأن ليلى ! لاتسلنى كيف بان
حاطك الله من الليل وصان
إى وربى بان لك بعد ما
نفدت ساعات عمرى فى ثمان
لا زمانٌ حيثما لاقيتنى
فإذا فارقتنى كان الزمان

* * *

طلع الصبح حزينًا عاطلاً
أتُراه كان بالقرب يُزان
وسرتْ أنفاسه يا حسرتا !
أين أنفاسك يا زين الحسان ؟

نسمات الصبح أورت [1] كبدى
فحجبت الأنف عنها والعيان
وتمشيت إلى كتبى على
مضض منى ، وللكتب أوان
يا أبا الطيب لاتهرف ويا
صاحبى الرومىَّ ما هذا الرطان ؟!
شعراء الشرق والغرب أما
تملكون الصمت يومًا فى عنان ؟!
أو فهاتوا الشعر لى صرفًا بلا
أحرف فى الطرس منه أو معان
أفرغوه جملة فى خاطرى
ليس لى بالطرس والدرس يدان
رُبَّ شعر شاقنى لمَّا تكدْ
شفتا قائله تنفرجان

* * *

وتجلى الباب لى عن زائر
من أودَّائى كأنَّا أخوان
فتعلَّمتُ ولبى شارد
كيف يُكسى الود ثوب الشنآن[2]
قال لى : «الأفق جميلٌ» قلت : لا
بل دميم . قال : زاهٍ . قلت : قان !

---

(١) أورى الزند : أخرج ناره . (٢) البغض .

قـال : زيدٌ . قلت :حـاشـا . فـانثنى
نحو عمرو . قلت : كـلا . بل فـلان !
فـمـضى يعـجب منى سـائلا ؟
أسـلام ؟ قلت : بل حـرب عـوان

* * *

ذهب اليـوم ومـا أحلكه
كـان من يوم نماه النَّيِّران
لم يكن فى صـبـحـه أو ليله
حظ عين ، أو لسـان ، أو جنان
ذاك يومٌ يا حـبـيـبى واحـدٌ
وغـدٌ منه غنىٌ عن بيـان

* * *

الحب المثال

كـأنّىَ مـثّـال وحـسنك تمثـالى
عـجـائبُ حب مـا خطرن على بال
فـمـا أتمنى فـيك مـعنى أريده
من الحسن إلا وافق الحسنُ آمـالى
وأحـلام قلبٍ فـيك تسـرى كـأنهـا
خـوالق أيدى الفن فى الذهب الغـالى
تجـول بأشكال الخـيـال وتنثنى
وقـد أسـعـدت منك العيـان بأشكال

إذا ما تمشّت فيك معنى لمستُها
محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحت عيني فأنت مجيبها
فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى
غنىٌ على وفر من الوقت والمال[1]
فما فيك من نقص ولكنما الهوى
نوازعُ شتى لاتقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى
لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دمية
لها زينتاها من حياةٍ وإقبال

***

ساعى البريد

هل ثَم من جديد يا ساعى البريد

***

لو لم يكن خطابى فى ذلك الوطاب
لم تطو كل باب يا ساعى البريد

***

ما ذلك التنسيق والجمع والتفريق
والقفز والتعويق يا ساعى البريد ؟ !

---

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجه به إليها . وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

كسوتك الصفراء والخطوة العرجاء
يمشى بها الرجاء يا محنة الجليد

* * *

لولم تكن جمالا فى مشية العجالى
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات فى حاضر وآت
إلا على الميقات : ميقاتك الوئيد

* * *

فى شرفتى أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتنى مميتها
لقيتها ! لقيتها يا ساعى البريد

* * *

جددت لى انتظارى وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

أكرمْ به من ثمر منتظر مدخر
فى كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفا بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور فى ساعة البريد

* * *

فى لحـــة تنتـــــشـــر   منك المنى والعـــبـــر
وأنت مـــاض تعـــبـــر   كـــالكوكب البـــعـــيـــد

* * *

كـن أبدًا مـــــريدى   بالخـبـــر الســـعـــيـــد
وبابتـــســـام العـــيـــد   يا ســـاعى البـــريد

* * *

عجب الساعى

عــجب «الســاعى» الذى كنتُ له

أبدا فى شـــرفـــتى منتظرا

إنّ من تحـــضـــر لى أخـــبـــاره

أيهـــا الســاعى بخـــيـــر . حـــضـــرا

ألق إن شـــئت وطابًا حـــافـــلاً

لا أبالى لحظة إن صـــفـــرا

الـطريق الآن لا أرقـــبـــه

لأرى وجـــهك . لكـن لأرى . . .

ولك الشكر ، ولى العـــذر ، فـــلا

تظهـــر الآن . فـــهـــا قـــد ظهـــرا

لا تذكـــرنى نواه بعـــد مـــا

كـنت تروى عنه ذكـــرًا عطرا

* * *

الليلة الفطيم

بكت الليلة الفطيم شجـــاها

مـــا بكاء الفطيم بين الثـــدىٍ

الثـدىُ الحـــسان تبـغى رضـاها

مـا لثـغـر الفطيم غـيـر رضىٍّ ؟

لـو أرادت لـكـان عـنـد مـنـاهـا

كل صـــدر ، وكل نهـــد شـــهىٍّ

أمـــهـا ! أمـــهـا ! وليس ســـواها

ذات صـــدر على الشـــفـــاه ندىٍّ

* * *

ليلتى . ليلتى الحـــزينة صـبـــرًا

لـيـس هـذا الـفـطـام بـالأبـدى

ســـوف تُروين من أُمـــيمك ثغـــرًا

فــارضـعى الآن من دمـــوع الشـجى

واذرفى هذه المدامع غــــــزرًا . . .

هل يضـيـر البكاء عين الصـــبى؟

من أذاب الشـــقـــاء عـيـنيـه شـهـرًا

فى ارتقــاب النعـيم غـيـر شـقى

* * *

قبلة بغير تقبيل

بعد شهر - أنلتقى بعد شهر ،
بين جيش من النواظر مَجر ؟[1]
لم يحولوا - وحقهم - بين روحيـ
ـنا ، وإن ألزموهما طول صبر
تمت القبلة التى نشتهيها
كلها ، غير ضم ثغر لثغر
تم منها شوق ، ورفُّ شفاه
وهوى نيةٍ ، وخفق صدر

* * *

الحلم السالب

سبق الكرى يومَ اللقاء فنلته
فى غفوة تغفى العيون لكى ترى
حلم على اليقظات جار فليته
فى جوره أبدا يعود مكررا
لم يظلم اليقظات فهى إذا وفت
بلقائه ، سلبته من حلم الكرى
ما وعده إلا سعادة حالم
فالنوم كان به أحق وأجدرا

* * *

---

(١) الجيش المجر : العظيم .

والحلم المنتقم

لما تمليتُ فى الرؤيا محـــاسنه

هتــفت لليل والظلمـــاء والحلم

هذا انتــقام الكرى من بطء موعـده

وللكرى ربةٌ مـــشكورة النِّقم

يغار من طيفه السارى فيمطلنى

كأنما قـــال لى بالمطل : لاتنم !

***

فى البعد والقرب

لن يطيب البـعـد يومًا لن يطيبا

هنْ علىَّ اليـوم إن كنت حبيبا

لاتكن نارًا من الشـــوق ولا

دمعة حرى ، ولا قلبًا كئيبا

لاتكن صحراء فى البعد وقد

كنت لى فى القرب بستانًا رطيبا

إن تغب شمسًا فأوص النوم بى

قبل أن تعرض عنى أو تغيبا

***

يا حبيبي - بل فكن ما كنت لى

صانك الله بعيدًا وقريبا

واجـعل الأنس نصـيـبى فـإذا
غبت عنى فاجعل السهد نصيبا
كن نعـيـمًا وعـذابًا ، ومُنى
تملأ النفس ، وحرمانا مذيبا
هكذا الحب دواليك فمن
لم يكنه ،لم يكن قط حبيبا

* * *

قــراءة

على كتفى تمشى بعينيك فى الطرس
عجولا إلى شعرى حريصًا على لمسى
كأنك لم تحمد مدى الصوت وحده
فسابقته بالعين حينًا وبالحس
وعانقتنى تستوعب الشعر حيثما
سرى فى ثنيات الجوانح والنفس
هنالك أدرى أن للشعر مجلسًا
إلى جانب العرش السماوى والكرسى

* * *

تسلّم

تسلّم هذه الدنيا   كما خلفتها عندى
وحاسبها على قرب   بما تجنى على البعد

* * *

تسلّم هذه الشمس التى تؤنس أو تهدى
لقد كانت هداها اللـه مكسالا من المهد

تجـوب الأفق فى جـهــد   ومــا تســرع بالجـهــد
وكـــانت تحـجب الأنو   ار أو تُبــدى فــلاتجـدى
وكـــانت شـعلة حـرَّى   من اللوعـــة والوجــد

* * *

تسلَّم هذه الأطيـــا   ر واســألهــا عن العــهـد
تُغَنّى الآن فــاســألهــا   أغنت قط لى وحــدى ؟
وإن غنَّت فــهل كـــا   ن ســوى نوح لهــا مُـعْـد
وإنْ أعــدَت فــهل تُعـدى   بغيــر الشجـو والسـهـد ؟
نعم سلهـــا جــزاها اللــ   ـه : أين تحـيـــة الورد
وأين تحــيـــة الإلف   وأين تحــيـــة الفــرد
لقــد كــانت لحــاها اللــ   ـه تطويهــا على عـمــد
فــسلهــا فــيم تطويهــا   وفــيم تضن أو تسـدى

* * *

تــسلَّـم أنجم الــلــيـل   بلا عـــدٍّ ولا حــــد
تسلمــهــا وكــاشــفــهــا   بما تخــفى ومــا تبـدى
وسلهـــا كــيف ضلتنى   ومــا ضلت عن القـصــد
وفــيم تغــامــز منهــا   إذا حــيــرنى قــيــدى
نعم قــيـدى الذي فى النـ   ـفس لا فى صـفـحـة الجلد
أهزلا تهـمـــــس الأنجـ   ـم أم تهـمس عن جــد ؟!

* * *

تسلَّم زهرك الحــبــو   ب فى السـهل وفى النجـد
تــراه ضــاحـك العين   تــراه نــاضـــر الخــد
فــسله مـــا عـــراه أمـ   ـس حـتى لاذ بالرشـد

فــلا يلهـــو ولا يُوصى بغـــيـــر الهم والزهد
فــمــا عن لومــه فى ذا ك يا مــــولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيــــا كـمــا خلفـتـهـا عندى
بحــمـــد الله تلقــاها كـمــا تلقـاك بالحـمـد
فـخـذها راضيـا عنهـا وعـــنـــى وعـــن الـــود
وعلمـــهـــا إذا مـا عـدت ـ لاعـدت إلى البـعـد
أمـــانا فى مـــغـــيب منـ ـك أو فى مـحـضـر رغـد
فــمــا تسـمع لى قــولا إذا ناجـيـتـهـا وحـدى !

* * *

الفنجان

أتؤمن بالفنجــان ! لا يا صـديقـتى
بشـغـرك لا الفنجــان أصـدق أيمانى
إذا هو أعطانى السـعـــادة فلتكن
نبوءتها فى الكأس أوسؤر [1] فنجان
وإن يكن المغـــزى هناك خـــرافـــة
فثغرك صدق فى ابتسام وتبيان
وفى كـــوثرى من رضـــاب مـــعطر
وفى جـــوهرى من ثناياه فـــتـــان

* * *

(١) السؤر : ما يبقى فى الإناء .

قربَى

تقــــربى لله بالدعـــــاء وأنت قُربَى الأرض للسماء
ليس مكان فى السماء كلها عن شـاعـر أو عـاشق بناء
رب صـلاة علمت مُصليـا إجـابة الصــلاة والرجــاء
ورفـعت من طينة الأرض إلى عـرش الضيـاء سُلَّمَ ارتقاء

***

كأس وضوء

هنا ـ ويا حسن ماضمت هنا ـ قدحٌ
تُغـــوى قلوب العطاشى أىَّ إغـــواء
فى كل قطرة مـــــاء ههنا أثرٌ
من قالب الحسن فى روح وأعضـاء
مــرت بقـدك تحكيــه ، وربَّمــا
حكى الوضـوء جمـال الروح فى الماء
فلو تعـود كمـا لامسـتهـا رسمت
مثالك المقتدى فى مهجة الرائى
تطهــرت بك لما أن طهــرت بهـا
عند المصلى ، وزادت حـــسن إيماء
وصافحت منك تقوى الروح فى جسد
يغـــزو التــقـاة بأشــواق وأهواء
هذى خــلاصـة إنسـان مـقـدسـة
ليست خـلاصة أعناب وصهبـاء

أمخطئ أنا إن أحسست فى كبدى
شوقين من نشوة فيها وإرواء
فكم أغالب من إغراء سكرتها
مالا يغالبه ظمآن صحراء
تنازع الدين والغى الهيامَ بها
وقربت بين إسعاد وإشقاء
فليت شاربها يدرى أحصته
عند الخضيراء أم عند الحميراء [1]
خوفى - ويا طول خوفى - أن تمزقنى
كلتاهما يوم إحيائى وإحصائى !

* * *

رقية السهر

تجلت آية الكرسى ، ما أعلاه كرسيا
أظلّ سباتها عينىَّ حين لمست عينيا
أترقين من السهد وما أبغى له رقيا ؟
سرورًا بك هجرانى الـكرى المحبوب والرؤيا
دعى الرقية للسهد الذى يدعونه نأيا
وللنوم الذى ألقاك فيه حين لا لقيا

* * *

---

(١) الخضيراء : كناية عن الجنة الخضراء ، والحميراء : كناية عن جهنم الحمراء .

المنديل

تعـــاشق لحـــمــة [1] وســدى
ورفــرف خــافــقًــا غــردا
وآخـــت طـــرّتـــاه [2] يــدا
على عــهــد الهــوى ويدا
وقـــبل النسج كم ســاغ الـ
ـصــفــاء ســحــابة وندى
وناغى الطيــرُ صــاحــبَــه
على شــجــراته ، وشــدا
وعــاشت فى الرضى شـجــرا
تـه مــخــضــرة أبدا
فـــيـــا منديل لا تبـــرح
بعــهــد الحب منعــقــدا
عــــريقٌ أنــت يــا منــد
يل روحــا فــيــه أو جــســدا
إذا صـنـت الـوديعـــة لـى
فـــلا بدعــًـا ولا فـنـدا

---

(١) لحمة الثوب : ما نسج عرضا ، وسداه : ما امتد من خيوطه .

(٢) الطرة : طرف كل شيء وحرفه .

وإن تحـــفظ أمـــانتـــهـــا

حـــفظتك أنت مـــجـــتـــهـــدا

سنســــأل عن شـــذاك غـــدًا

وبعـــد غـــد ، وأن بعـــدا

فـــصن ســـرَّ الســـؤال لنا

ولا تخـــبـــر به أحـــدا

* * *

مـن الـكـتــــان يا نـســـا

ج ، فـــانسج كل مـــا خلدا

وعَـى خلـد الـفـــــراعـــ

ـين ، وزان عـــروشـــهـم أمـــدا

ومـن يـرض الحـــريـر بـه

بديلا ســاء مـــا اعـــتـــقـــدا

فـــمـــاذا تنسج الـديدا

ن من ذكـــرى لمن ســـعـــدا

ومـــا الـديدان والـذكـــرى ؟

ومن ذكـر اسـمـهـا جـمـدا ![1]

هـو الكتـــان يا نـســا

ج ، فـــانسج منه متفـــردا

* * *

(١) الحرير من نسج الديدان ، وهى تذكر الإنسان بالموت والقبر ، فيجمد من يذكرها خلافًا لمن يذكر الكتان ، فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة .

بيـــــوم كـــــــان للمنـد
يل قُـدِّس لُحْـــمـة وســدى
وقُـــــدِّس قـبـلـه مَن أنـ
ـبت الكتـــان أو حــصــدا
وقُـــدس مــثـلـه من قــا
م عند النَّول أو قــعــدا
وقُـــــــدِّس كـل مـن نـادى
به فى الســوق ، أو شــهــدا

* * *

حلم اليقظة

أين مــضى الحلم الذى كـــنـت أراه هــهــنـا
إذا صــحــوت والتــفــ ـت عن شــمـالى مَوْهنا [1]

* * *

كنتُ إذا مـــا قطَّعَتْ نومىَ صحواتُ السهرْ
غـبطتُ عينىَّ وأغـضيـ ـت عن النوم النظر

* * *

وكـــان عندى حلمًـا فى يقظة الليل المديد
أســمعُ من أنفــاســه نسـمـة فـردوس بعـيد

* * *

(١) الوهن والموهن من الليل بعد منتصفه ، أو بعد ساعة منه .

أســـــعـــــد بما فى الكرى من راحـــــــــة ومن أمـل
ومن خـــيـــال لا يحـــدُّ ومـــــعـــــــانٍ لا تمل

* * *

فـــالآن أبشـــر يا كـــرى! كل جـــفـــونى الآن لك
حـــتى أعـــود فـــأرى فى جـــانبى ذاك الملك

* * *

ليلة

بينـى وبينـك لـيـلـة يا ليلة القـــرب الأمين
يا حـــبـــذا لو تســرعـ ـين ، وحـبـذا لو تطفـرين
وإذا أتيت فـــحـــبـــذا لو تلبــثين فـــتـــخلدين

* * *

عروس الليالى

عـروس الليـالى تهبط اليـوم من عَلِ
وتدنو على طول النوى والتـــدلل
سَرَت بين شـرقٍ من ضـيـاءٍ ومـغـرب
وبين جنوبٍ من ضـــيـــاء وشـــمـــال
كـــأنى أراها من دهور بعـــيـــدة
لطول اشـتـيـاقى وجـهـهَـا وتأملى
فـــيـــا ليلة القـــدر المؤمَّل أقـبلى !
تعـــالىْ أقـــبِّلْ منك كلَّ مـــقـــبَّل
خـذى لك جـثـمـانًا يضـمُّك عـاشقٌ
قليلٌ لديه صـــورة المتـــخـــيَّل

وتيـهى بوجـه من صبـاحك مُشرق

وميلى بفـرع من مَـسـائك مُـسبل

سـأبديك شـعـرًا يملأ السـمع شـدوه

إذا ضنت الدنيـا بجـسم ممثل

* * *

ثـرثـارة

أراك ثرثارة فـى غـيـر سـابقـة

فـهات مـا شئت قـالا منك أو قِـيـلا

مـا أحـسن اللغـو من ثغـر نقـبله

إن زاد لغـوًا لنا زدناه تقـبـيـلا

* * *

ثروة النصيب

مَنَّيْـتـنى بـالثـروة الجلل

وبـنـيـت لـى دارًا عـلـى عـجـل

وإذا «النصـيب» أصـابنى احـتـفلتْ

دارى بحـسنك كـل مـحـتـفل

حـسبى إذا عـز البناء غـدا

فى سـاحـة بالسـهل والجـبل

دور تؤسـسـهـا وتعـمـرها

فى سـاحـتين : الحب والأمل

* * *

قرنفلك

قرنفلك الذى يحكيك حسنًا أتعلم أنه يحكيك سمتا [1]

تعـــدد لونه فـــتـجنبــوه على حـذر، ولم تحـذره أنتـا

له عطر شـبـيــه هواك فـرد وألوان من الإحـسـاس شتى

* * *

النجوم السواغب

أرى أعينًا قـد وصوصت فى سـمـائها
أتلك النجـوم الناظرات سـواغب ؟
مـوائد حب تشـتـهـيـهـا ودونهـا
مـصـاعب لاتجـتـازها وغـيـاهب

نعـمت بهـا فى ليلتى، وهى فـوقنا
تمدُّ لهـــا ألحـــاظهـــا وتراقب
ومـسكينةٌ هذى الكواكب فى الدجى
ومـسكينةٌ تلك الورود الشـواحب
فـهـاك خـذى من سؤر مـا أنا شاربٌ
ثمـالة كـأسى كلهـا يا كـواكب
وخـذ يا نسـيم الليل عـشـرين قـبلة
وخـذ مـثلهـا يا روض إنك غـاضب

---

(١) السمت : الطريق، وهيئة أهل الخير. (٢) سهم وجهه : عبس وتغير.

غنىٌّ أنا بالحب ، عـــاش الذى بـه
غنيت ، وإنـى إن غنيت لـواهـب !

***

النيل الغاضب

أَساهمٌ[1] يا نيل؟ لست أدرى ! أم ناقم يا نيل طول هجـرى
فـرب شـهـر مـرَّ بعد شـهـر وعـام سـوء بعـد عـام شـر
ولا بشفع زرت أو بوتر

***

لاقـيتنى يانيل والحبـيبـا كـمـا تلاقى طارقًـا غـريبـا
وزدتنا كـيـدًا لنا مـريبـا ، أغـريت يا نيل بنا الرقـيبـا
يكاد يحصى سره وسرى

***

وكـيف يانيل إليك حـجى ولم أكـن أخـــاف أو أرجِّى
بل كيف يهدينى إليك نهجى وقد هوى نجمى وضل برجى

وعز قربانى ولاح عذرى

***

(١) سهم وجهه : عبس وتغير .

ذاك الذى كنتَ معى تراه — غيرى إليك ربما دعاه
فقد هدانى كاهن سواه — إليك يرعانى كما أرعاه

بعد ضلال فى الهوى وخسر

* * *

يا نيل أما الآن فالمزار — عندى له المنسك [1] والشعار
فلايغيب فى الدجى نهار — أو ينجلى عن بدرنا السرار

ألا سرينا لك حين يسرى

* * *

يا نيل فاشغل حولنا العيونا — إذا وردناك مسبحينا
تلك عيون تكره السكونا — ومن يحبون ويسعدونا

لا رضيت عنى ولا عن بدرى

* * *

نجوى النجوم

بحسبى الأنجم الزُّهر — فلا شمسٌ ولا بدر
ترينا عزلة النجوى — ففيها للهوى سر
وفى لحتها همسٌ — كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ — بأحفاد له سُرُّوا :
خذوا الدنيا خذوا الدنيا — وغروا العيش واغتروا
دريت الحكمة الكبرى — فأدراكم هو الغر

* * *

(١) مناسك الحج : عباداته ، وشعائره : علاماته ومناسكه أيضًا .

بحسبى الأنجم الزهر — فلا صبحٌ ولا فجر
سواحر تنبئ الأحبا — ب ، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها — وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشمـ — ـس أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرت — حبيبى ، ولها الفخر !

* * *

كلماتى

كلماتى ! كلماتى ! — صدق الوعد فهاتى
هل معينى وحيك الصا — دق أو وحى اللغات ؟
أنا أستأديك [1] مالم — تبلغيه بأداة
من معان تتعالى — عن لسان ولهاة [2]
فاسألى الأرباب عن تلـ — ـك المعانى الخالدات
أوسلى الصمت فكم صمـ — ـت له علم ثقات
ينتهى شأو الأحاد — يث إليه والرواة
وبه لاذ هداةٌ — عرفوا وحى النجاة

* * *

انظرى يا كلماتى — وأصيخى فى أناة
ما ضياء ثم فى الأفـ — ـق ، وفى كل الجهات
لا من الأرض ولا من — دارة الأفلاك آت

---

(١) استأداه الشىء : طلب منه أداءه .

(٢) اللهاة لحمة مشرفة على الحلق .

لا تراه غـيـر عـينى وهـو مـلء الـكـائـنـات
هل يرى الدنيـا امـرؤلم ير منه قـبـسـات ؟
كلمـاتى أنت فى وا د من التيـه شـتـات [1]
اسـألى الأرباب عنه أو سلى الصـمت وهاتى

* * *

كلمـاتى مـا تقـول ـين إذن يا كلمـاتى
مـا نعـيمٌ يمنح الكـ ـف غـذاء المهـجـات
تقـصـر الألبـاب عنه وهو بعض اللمـسـات
فى يدى أدعـوه خـصـرًا تـارة أو زهـرات
فى فـمى أدعـوه ثغـرًا تارة أو قـبـلات
وفـؤادى ؟ مـا اسم مـافيـ ـه إذن يا كـلمـاتى
اسـألى الأرباب عنه أو سلى الصـمت وهاتى

* * *

نشـوات تلك ؟ لا بل تلك فـوق النشـوات
يـقـظـات تـلـك ؟ لا بـل تلك غـيـر اليـقظات
بلغت منهـا مـداها وارتقت مـرتفـعـات
تسلس اليـقظة للوصـ ـف وتصـغى وتؤاتى
فـإذا جـازت مـداها لزمت صمت السبـات
كلمـاتى ! مـا تقـول ـين إذن يا كلمـاتى
اسـألى الأرباب عنهـا أو سلى الصـمت وهاتى

* * *

---

(١) الشتات المتفرق .

لحـظـة تمـنـح قـلـبـى ... كل هاتيك الهـبـات ؟
لحظة ترفع عـمـرى ... حـقـبـا مـتـصـلات ؟
رب عـمـر طال بالرفـ ... ـعـة لا بالسنوات
لحـظـة ؟ لا بـل خـلـود ... لاح بـين الـلـحـظـات
كـالسـمـاوات تراها ... من شـبـاك الحلقـات
رب آبـاد تجـلّـتْ ... من كـوى [1] مـخـتلفـات
وقطيـرات زمـان ... مـلأت كـأس حـيـاة
وإذا مـا طغت الكأ ... س فـقـل فى السكرات !
سكرة تُغـشى وأخـرى ... تغـتلى بالصـحـوات
هكذا بتنا رفـيـقـ ... ـين لزيمى لثـمـات
غـائبٌ غـاف ، وصـاح ... لخـفـيف الهـمـسـات
كلمـاتى ، مـا تقـوليـ ... ـن إذن يا كـلمـاتى
اسـألى الأرباب عنا ... أو سلى الصـمـت وهاتى

* * *

أين أمـلاكٌ عـلـى ... أبراجـهـا المطلعـات
تصـقل الآفـاق فى الليـ ... ـل وتجلو النـيـرات
لا أرى الدنيـا على نو ... ر الليـالى الغـابرات
أين ؟ لا بـل ندع الدنيـ ... ـا وراء الحـجـرات
نورنا الليلة مـصـبـا ... ح وليـد اللمـحـات
غض جـفـنيـه حـيـاء ... من غـضـيض النظرات
شـفـقـيّـاً أو فـقـل إن ... شئت فَـجْرىّ السمات
عـسـجـدًا بارك حـسـنًا ... عـسـجـدى البـركـات

---

(1) جمع كوة ، وهى فتحة فى الحائط .

سبحتْ عيني ونفسي ويدى فى غمرات
فى كنوز منهما أىٍّ كنوز مغنيات
ثروة أنفق منها لحياتى ومماتى
ولبعثى يوم أن تبعث فى الطرس وُصاتى
كلماتى ! ما أراك اليوم إلا خاذلاتى
عنك أغنتنى كنوزى وكنوزى ملهماتى

* * *

سمعتنى كلماتى واستعادت دعواتى
ثم قالت فى حياء كالعذارى الخفرات
باح لى الصمت ولكن فاتنى أى فوات
قال ساموك عسيرًا فى التمنى يابناتى
ارجعي ، ثم أعيدى ، ثم عودى صاغيات
مرة أو عشرات وإذا اسطعت مئات
ما بدرس واحد تُو فين هاتيك الصفات
هكذا يا شاعرى ألـهمنى الصمت فهات
هاتها وافرح بإحسانى وراقب حسناتى
لا يبوح الصمت إلا درجات درجات

* * *

كلماتى ! صدق الصمت . أجل يا كلماتى
غير أنى لا أعيد الأمس إلا بصلاة
مرجع الأمر لمن ضمت رجائى وشكاتى
يملك العودة من أحيا من الأرض الموات
فابعثى الصمت إليها فى خشوع وتقاة
ربما أعطت وإن لم تسألى يا كلماتى

يوم يبحث عن ذكراه

يوم بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه ، فإذا اليوم الذى خطر لنا فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه ، فكانت مصادفة من أعجب المصادفات :

لم يطوه الزمن الماضى ولا احتجبت
في ذمة العام بعد العام سيماه
خلناه فى الغيب منسيا فذكرنا
بنفسه اليومُ فى إلهام نجواه
قمنا لنبحث عنه فى صحائفنا
فكان ميلاده ميعاد ذكراه
يا يوم أول لقيا بيننا عرضت
ثم انطوى عهدها حتى بعثناه
نعم بعثناه فى حب إذا ذهبت
مزية العمر لم تذهب مزاياه
مبارك يومُ عيد فى عواقبه
لم يسهُ عنا وما كنا لننساه
لما بحثنا لنلقاه ونذكره
إذا به باحثًا عنا لنلقاه !
سرٌّ من الله فى روحين ما برحا
من قبل لقياهما يرعاهما الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفسى فلم تبلغ الذرى
من الحب فارفعها ، وكن أنت عاذرا

فللحب أوجٌ فى العلا قلما ارتقى
بنو الأرض الا مُرتقى منه نادرا

وددت لو أنى لا أفارق أوْجَهُ
ولا أستوى فى الأرض ، لو كنت قادرا

ولكنها حربٌ مع الدهر لم يزلْ
بها القلبُ مقهورا هناك وقاهرا

فلاتحسب القلب المشرد غاضبًا
ولا عاتبًا ، وأحسَبه أسوان حائرا

وإن تكُ يوما فى الصعود مؤازرى
أكن لك يوما فى الصعود مؤازرا

ولست على مثواى فى الأرض نادما
إذا كنت لى نجما على الأفق سافرا

* * *

سحر السراب

هذ سرابك جنةٌ تُغرى
يا فاتنى بالقرب والذكر

صحراء بُعدك ما خلت أبدًا
من كوثر فى أفقها يجرى

لكنه يغرى وليس به
ريٌّ ، وعندك لجة النهر

وإذا السراب خَلتْ كواثره
من مائها لم تخل من سحر

فافتن بذاك وذاك يصف لنا
أمن المقيم ، ولهفة السَّفر [1]

(١) السفر : المسافرون . والمعنى : أن فى البعد سحرًا كسحر السراب الذى يفتن بالشوق والأمل ولكنه لايروى ، وأن للقرب فتنة الرى ولكنه لا لهفة فيه ، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة للقرب ولذة السفر .

عالمنا

فى الحب والشعر والإخلاص عالمنا
دعنا من العالم الموبوء بالدنس
إذا نظرت حوالينا فلستَ ترى
إلا السماوات فى مرأى ومُلتمَس

* * *

هجو

هجوتك فى بيتين جهدى فلاتخف
وسلنى ، فإنى قائل لك بيتين :
أقول رعاك الله إنك محنةٌ
وطول عناء حين تغرب عن عينى
وقلتُ وما أتممتُ بيتين أننى
شقىٌ بما ألقاه منك على البين

* * *

هجو آخر

هذا الدلال علاما ؟ أكان حتما لزاما ؟!
تغيب عنى فيمسى يومى من الدهر عاما
وإن سمحت بقربى قصَّرت لى الأياما
تزهى بهذا ، فهلا خشيت فيه الملاما ؟

* * *

الوساوس

أنا ســـــاهرٌ والليل دامس	ويل المحب من الوســـــاوس
ومن الغــد الخـــافى ومـــا	من زحـفـه المأمـون حــارس
ومن الـذى بالأمس كـــــا	ن ، وريبةٌ فى الصدر هامس
ومن الذى تُخـفـيــه تلـ	ـك الأعين السـود النواعس
ترنو إليك وخلفـــهـــا	فى القلب سرٌّ عنك خانس
ودع الغـــيـــاب ومن يجـــا	لس فى الغياب ومن يؤانس
ودع الحـــفـــول ومن يُرا	قص فى الحفول ومن يلامس
يا لـهـــفـــتـــا إن قـــيل لا	هٍ بينم أو قـــيـل عـــابس
هذا ذاك كـــــلاهـمـــــا	راضٍ بـه قـلـبـى وبـائـس

* * *

لاتــنـــأ عـــنـــى إن لـــى	فى كل نأى ألف هاجس
هى من شـيـــاطين الظلا	م وأنت مثل الصبح شامس
أشــرق عليـهـــا ينصـرف	منهـــا المســالم والمشــاكس
لاضـيـــر عندى أن تعـيـــ	ـش إذا انجلى ليل الوســاوس

* * *

رجاء اللقاء

رجـــائى بأن ألقـــاك بدّد وحـــشـــتى
فكيف إذا أمــســيت أنت مـــؤانسى
أراك فـــتنجـــاب الوســـاوس كلهـــا
وأنت إذا مـــا غـــبت كل وســاوسى

شكوك العاشق

رأى ابنًا فى الكرى زهقـا — فـهبَّ مـروعـا قلقـا
يضم وليـده ثقـة ، — وينسى أنه وثقـا
ويخـفق قلبـه فـزعـا ، — ويفـزع كلمـا خـفـقـا
إذا مـا خـاف ذو شـغف — فـذاك المارد انطلقـا

* * *

كـذاك الشك فى قلبى — إذا مـا طاف أو طرقـا
أكـذبه ، ويحـزننى — كـأن نذيره صـدقـا
فـديتك لاتعـدى الحـز — ن من ذنبى ولا الفـرقـا
فـمـالى بالخـيـال يدٌ — إذا مـا خـال أو خلقـا
يوسـوس لى فـأسـمـعـه ، — كـذلك كل من عـشـقـا !

* * *

صفقة مغبونة

أرانى فى غـرامك لا أجـازى
وإن جـازيتنى حـبّـاً بحب
ألم يسع الزمـان الرحب قلبٌ
وهبـتكه ، وقلبك غـيـر رحب ؟
فكيف وعند قـربك لى شـريك
ومـا لك من شـريك عند قـربى ؟
جـهلت الحب إن أعطيت قُلبـا
يقـيم على الوفـاء ، بنصف قلب

* * *

بـــلدى

أمــــحل الدهر واطَّرِدْ	لا خــمــيسٌ ولا أحــد
لا انـتـظـارٌ لمـوعــد	أو هيـــامٌ بمن وعــد
كـل أيامنـا تـســا	وين فى الوسم والعـدد
صـبـحـهـا مـثل ليلها	والتـقى أمـسـهـا بغـد
تنقص العـمـر كلهـا	وبهـا العـمـر لم يُزد[1]
لم تزد مـاضـيًـا وقـد	نقـصت مـقـبل الأمـد

* * *

قـد رجـعنا كـمـا بدأ	نا فـمـا الخوف والكمـد ؟
كـان لى الحـزن مـوطنًا	فـتـبـاعـدت ، فـابتـعـد
ثم عــدنا فــهل ترى	واجـدًا خـاف مـا وجـد
بـلـدى أنـت بـى أبـــ	ـرُّ ، فـــلا بنتَ يا بلد

* * *

ميناء قلب

نم قـــرير العين والنفس فـــمـــا

لك فى قلبى ســوى الحب الطهــور

أنا إن لم أكـــرم الصـــاحب فى

غـــيـبـة ، إنى إذن جِـدُّ كـفــور

* * *

أنت مـــينائى إذا البـحـــر طغى

واكـفـهـر الليل ، واسـتـعـصى العبـور

---

(١) يوم السـعـادة الذى يمر بالإنسـان هو يوم ينقص من العـمـر ، ولكنه يزيد فى ثروة الماضى ، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماضٍ أو حاضر .

هب به بعض صخور أتُرى
أنقض الأسوار حولى والجسور
لا وحبى ! بل قصاراى إذن
أننى أعرف هاتيك الصخور
فإذا جاورتها جاوزتها
غافرًا ما شئت ، والحب غفور
بل أرانى شاكرًا لا غافرًا
وشبيهان غفورٌ وشكور

* * *

نم قرير العين والخاطر يا
أكرم الأحباب فى الدنيا الغرور
لاتخف فى الغد شراً من أخ
وَدَّ لَوْ ينجيك من ماضى الشرور
فى أمان أنت منى وأنا
فى أمان منك ، والدهر يدور
أنا أدرى بك من نفسك يا
طاهر النية فى كل الأمور
إنما تخطئ من حب إذا
أخطأ الإنسان من غش وزور
ويح قلبى أنا إن أحزنت من
هو فى الحب على الحزن صبور
كما قسا منى وكم جار الهوى
والهوى منك رحيم لا يجور

لك من عطف شـــفـــيع دائم
وشـــفـــيـعى عندك الوجــد الثـؤر
نم قـــرير العين والخـــاطر لا
قـــر ذو ضـــغن ولا نام غـــيـــور
خلِّ جـــهـل الناس فى ظلمـــائه
واجل لى حـــبك نورًا فـــوق نور

* * *

فوق الحب

صـــاحـــبى من ســـروره وســـرورى
فى صـــفـــاء الزمـــان يلتـــقـــيـــان
وصـــديقى من اســـتـــجـــد ســـرورا
من ســـرورى ، وإن تنـاءى مكانى
وحـــبـيـبى مَن قلبـه كـيـفـمـا كـا
ن ، وقلبى فى الشـجـو يســتـويان
فـــالذى يرتضى العـــذاب لأرضَى
كـيف أدعوه ؟ مـا اسـمـه فى البيـان ؟
ذاك فـوق الحـبيب إن كـان فـوق الحـ
ـب شىء يُرجى من الإنســـــان
ذاك فـــيـــه من صـــبـــغـــة الله ســـرٌ
جلّ عن صـــبـــغـــة الوجــود الفـــانى

* * *

سريان روح

لاتسلنى مـــتـــعبٌ أنت فـــمـــا
تتـعب الأرواح فى عُليـا الســمـاء
بـجـنـاحـين مـن الحـب ومـن
حـسنك الخـافق ، ينقـاد الفـضـاء
طـرت لا أشـكـو المدى مـن تـعـب
حين صـاحـبـتك فى ذاك المســاء
لـم أكـن ألمـس أرضـاً إنمـا
كنت أسـرى حين أمـشى فى ضـيـاء

***

توكيد

أحـدث نفـسى بالفـراق وأخـشـاه
كـمـا تقـذف الأم الوليـد لتلقـاه [1]
هو الشىء لاتدرى بفـرط وجـوده
ولاحـبـه إلا إذا غـاب مـرآه

***

جواز الحياة

قالت : جوازك ؟ قلت : هاك !	حب أنال به رضاك
فـدخلت فى خـدر الحـيا	ة وراء ألفاف الشباك
أبرز جـوازك تقـتـسم	دار الحياة على اشتراك
أو لا فـأنت ببـابهـا	أبدا تحوم بلا فكاك

(١) الأم إذا قذفت بابنها فى الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ، ثم شعرت به بين يديها فكان فى ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه .

الخرافة الصادقة

دعنى أثوب إلى العراف أسأله
فالحب علمنى صدق الأساطير
جلا عجائب دنيا لانظير لها
فى زعم مختلق أو وهم مسحور
فإن أبتْ مؤمنًا بالسحر لاعجب
هذا هو السحر فى حسى وتفكيرى

***

علم الحب

إذا ساءت الدنيا ففى الحب مهرب
وتحسن دنيا من أحاط به الحب
فبالحب تدرى الحسن والقبح عندها
وفى الحب علم لاتعلّمه الكتب

***

الثوب الرشيد

فرحات قلبك بالجديد   من فرحة الطفل السعيد
أخجلت بالثوب الرشيـ   ـق وأنت صاحبه الفريد ؟
هو لايعاد فما لقدًّ   ك من معيد فى القدود
خلّ الحياء لمن يلو   مك واحلُ أنت كما تريد
أولى بالاستحياء من   عذل الجمال على المزيد
كل الثياب لمن يز   ين ثيابه عفٌّ حميد
فافرح بحلتك الجميـ   ـلة فالجميل هو الرشيد

لو ترتدى ثوب الوقـــا ر وهيـبـة العـمـر المديد
للبستـهـا فـرحـا بهـا كـالطفل فى الزى الجـديد

❊❊❊

عمر شعر

شعرى القديم عشقته وحفظته وحييت فيه حقيقة وخيالا
وجديد شعرى إن نظمت فإنما لك بت أنظمه ، وفيك توالى
فكأنَّ حبى كان عندك كله رهناً بحسنك مبدأ ومآلا
فاحرص على قلب أباحك ماضياً منه وحاضره والاستقبالا

❊❊❊

الحياء فى الحب

صن من حـيـائك مـايذكـرنا على
طول التـآلف أننا جـسـمـان
واخلع حـيـاءك يوم ينسى أننا
قلبٌ تفـرَّد مـالـه من ثان
الحب أجـمـع حين تعلم سـره
فى ذلك التـذكـار والنسـيـان
قلبٌ يرفـرف فى جـوار قـرينه
لا القلب مـبـتـعـد ، ولا هو فـان
مـتـفـرقين ليـعطيـا ، فـإذا التـقى
حظاهـمـا فـسروره ضـعـفـان
ويلذ بالثـمـر الجـديد كـلاهـمـا
كـالحـور تحت عـرائش الرضـوان

عتاب

أيها المانع الرسائل عني
هل يكون الوفاء كُتبًا بكتب
هب ردودى أبطأن عنك فقل لى
من أقال البريد من كل ذنب؟!
لا التحدى ، ولا التشاغل ، يُرضى
من حبيب معاتب ، أو محب
ضامنٌ أنت إن تسلفت عذرى
حسن ظن بالود أو ، حسن عتب

***

لقاء شجى

هل عجب فى الحب برح الأسى
بعد ابتهاجى بلقاء الحبيب؟
هاتيك نفسى استجمعت نفسها
فابسط لها عذر اللبيب الأريب
لاتجمع الأنفس أجزاءها
مابين نابٍ حولها أو مجيب
إلا أطالت نظرات لها
فيما بدا منها وفيما يغيب
يا رحمة للقلب من نشوة
يشابه النشوان فيها الكئيب

***

مـولـد

أو نشوء وارتقاء

زانك الله بصـــفـــو　　وســـلام يا شـــتـــاء
طال بى فكر الليـــالى　　أو مـــا فـــيك عـــزاء ؟

* * *

قـــال لى : هاك فـــخـــذها　　زهـــرة مـــنـــى إلـــيـــك
ذات حـــســن وحـــيـــاء　　ولهـــا فـــضـل لديك
وسمت بالفكر [1] فاقبس　　فكرة فى راحـــتـــيـــك
قلت حـــقّـــاً يا شـــتـــاء　　هى حـــسـن وحـــيـــاء
غـــيـر أنى ، وهى صمت ،　　ليس لى فـــيـهـــا عـــزاء

* * *

قـــال يرضـــيك إذن شـــا　　دٍ من الطيـــر مُـجـــيـــد
هـــو لـــلـجـنـة [2] يُـدعـى　　وله منهـــا نشـــيـــد
يعـــشق النيل وإن لم　　يك فـــيـــه بوليـــد
قلت حـــقّـــاً يا شـــتـــاء　　هـــو حـــســـن وغـنـاء
غـــيـــر أنى ، وهو صـــوتٌ　　ليس لى فـــيـــه عـــزاء

* * *

قـــال يرضـــيك إذن ســـا　　ر من البـــرق بشـــيـــر
يصـــدع الظلمـــاء ، يزجى　　عـــارض الغـــيث ، ينيـــر
فـــيـــه من قلبك نبض　　ومن اللمح ســـمـــيـــر
قلت دعنى يا شـــتـــاء　　من شـــعـــاع فى فـــضـــاء
إئذا جـــاد بغـــيـــث　　كـــان لى فـــيـــه عـــزاء

* * *

---

(١) المقصود ـ كما يظهر من هذا الوصف ـ زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسيه ، وهى كلمة ترادف بالفرنسية كلمة «الفكرة» ، وتظهر هذه الزهرة فى الشتاء . (٢) عصفور الجنة .

قال : والشمس؟ فما ظنـ ـك بالشمس ذكاء[1]
كلما عدت بها سبـَّ ـح عشاق السماء
فيك منها لمحة ـحرى وطهر وضياء
قلت حقّاً يا شتاء هى نور ورجاء
غير أنى ، وهى صبح ، ما عزائى فى المساء ؟

* * *

قال لى أنفدتُ كنزى كله بين يديك
غير ذخر من بنى الإنسـ ـان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليـ ـل قصارى غايتيك
أتراه ؟ قلت حقّاً هو فى الدنيا العزاء
هو حبٌ وحياة وربيع يا شتاء

* * *

من بنى الإنسان فى ذ ات شتاء وُلدا
زينة للعين والقلـ ـب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا ء صاف كالندى
كبنات الروض مفتـ ـنٌّ الحلى جمّ الحياء
وارف كالظل مُحيٍ فى شذاه كالهواء

* * *

يا شتائى فيم إخفا ؤك ذاك السرَّ عنى
أى روض ؟ أى برق ؟ أى شمس فيك أعنى ؟
أنا مستغنٍ به عنـ ـها فماذا عنه يُغنى ؟
قد تعلمتَ وأتقنـ ـتَ أفانين السخاء

---

(١) فى أساطير الأقدمين : أن الشمس تولد مرة فى أوائل الشتاء .

منذ عـــشـــرين وخـــمس ‏ من سنى الـدهر ســـــواء

* * *

تم عندى كل مـــــا تعـــ ‏ ـــطى إذا تم الـــعـــطـــاء

وجـــمـــــيلٌ كل بدء ‏ ينتـــهى خـــيـــر انتـــهـــاء

وجـــمـــــيل زهرك النا ‏ مى على هذا الـنـمـــــاء

صـــدق العلم وقـــال الحـِ ‏ ـــب حـــقـّـــاً يا شـــتـــاء

سـنـة الـزهـر نـشــــوءً ‏ فى المعـــــانى وارتـقـــــاء

* * *

إساءة مشكورة

إليك منى الشكر حـــتـى على

إســـاءة اللقـــيـــا غـــداة الســـفـــر

أغـــضـــبـــتنى منك فـــأنجـــيـــتنى

من لوعـــة الـــهـــجـــر وطول الســـهـــر

إذا الـتـــوى الصـــبـــر على عـــاشق

تعـــرَّض العـــتـب له فـــاصطبـــر

مـــــا ذاكـــــر اللـجـــــة ريـّاً لـه

كـــذاكـــر اللجـــة فـــيـــهـــا الخطر

ولـهـــفـــة الظامئ ترياقـــهـــا

أن ينظر الغـــصـــة فـــيـــمـــا انتظر

* * *

عروس الشعر

فى البعد

عـروس شـعـرى أجـيـدى ‏ فى الـبـعـد نظم الـقـصـيـد

فـــيم السكوت ؟ أمـــا من ‏ وحى ؟ أمـــا من نشـــيـــد ؟

أوخْىُ ثغــــر لثـــغـــــر أولا صــدى من بعـــيـــد ؟!
أمـــا ســـمـــعت ببـــرق مـــســـتـــحـــدث أو بريد ؟
وناقـل مـن أثـيـــــر وسكـة مـن حــــديـد
بُشـــرى إذن ألف بشـــرى بيــوم قـــرب ســـعـــيـــد
إلـــى المـــزاهـــر هُـــزِّى أوتـارهـا مـن جــــديـد
ورنِّمـى واســـتـــعـــدى ورتلى واســـتـــعـــيـــدى

* * *

صنوف حب

عـــــرفـت مـن الحـب أشـكـالـه
وصـاحـبـت بعـد الجـمـال الجـمـال
فــــحـبّ المصــــور تمثـــالـه
عـرفتُ! وحب الشـبـاب الخـيـال

* * *

وحـب القــداســة لم أعـــدُه
وحـب التـصــوف لم يعـــدُنى
وفــــى كـــل حـــب ورَى زنـده
ســـمـــاتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

وحب المـزخــرف والمنتـــقى
وحـب المجـــرد والعـــاطل
وحب الجـــمــاح ، وحب التـــقى
وحـب المجـــــدد والنـاقـل

* * *

وحب الثقاة وحب الصحا
ب، وحب الطبيعة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذا
ب، على يأس نفسى من حزنها

* * *

وحب التى علمتنى الهوى
وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القوى
ومن بالقوى أنا أمددتها

* * *

وحب الجياع صحاف الطعا
م، وحب الظماء كئوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلا
م، وحب الضلال وحب الصواب

* * *

صنوف من الحب لاتلتقى
وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق
لما كنت كفؤًا لهذا الهوى

صفات وتأملات

ليالى رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها
ولولا سناها قلت كنت أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها
لعمق معانيها ، وبعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ
وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالٍ برأس البر تَنْدَى وداعةً
ورقة أشجان ، وطاب نداها
وداعة ذات الدّل شاب فؤادها
شوائب من هجر ، فراض صباها

* * *

ليالٍ برأس البر طاب نداها
وشفت دياجيها ورق سناها
هنا النيل ساجٍ طال فى الدهر سيره
وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوار الدهور على الكرى
ويطغى فلايحمى النفوس كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطِّرادها
ترسلت الأحلام ملء مناها
هنا عالم السلوى ، هنا العالم الذى
تحس الليالى فيه همس خطاها
هنا العالم المشهود ذكرى قديمةً
وذكراك دنيا لاتزال تراها

فلولا حـيـاتى فى عـروقى أحـسـهـا

لـقلت نعـــيم الـغـــابرين طواها

***

جـمـالك ـ رأس البـر ـ فى زى ناسك

إذا ضاحك العين الضـحـوك شـجـاها

ليـاليك ـ رأس البـر ـ فى صـومـعـاتها

مـنـاسـك ضلـت فـى الـظـلام هـداها

صـحـابك ـ رأس البـر ـ أطيـاف نائم

تسـاوى لـديهـا صـبـحـهـا ودجـاها

عناها الـذى يعنى النيـــام من الرُّؤى

ولم أر جـهـدًا فى الحـيــاة عناها

حـيـاتك ـ رأس البـر ـ طفل مـجـدد

ســقـتــه ثدىُ الخــالدات جناها

فــلا تحـرمـينا رشـفـة الخلد كلمـا

فنينا ، وكم تُفنى الجـســوم نُهـاها

بحــسـبىَ من أبناء آدم إن صـفـا

لـنا الـعـيش يومًـا ، إن تـكفَّ أذاها

شرفة مصر
فى رأس البر

ينتـــهى الـبـــر ههنا	أو هـنـا الـبـــــدء أولا
نحن فى باب شـــرفـــة	إن تكن مـــصــــرمنزلا
نتــــرك الأرض خلـفـنـا	ونرى الـبـحــر مـقـبــلا

كــالذى يهــجــر الديا ر إذا ارتاض واخـــتــلى
مــصــر من خلفنا ولا مــصــر من صــوبنا ولا . .
حــبــذا «الرأس» شــرفــة ومــصــيــفــاً ومــوئلا
فــرجــة النفس كلمــا عــافت الأرض والملا

* * *

خبر الربيع

يأيهــا الورق المخـضــرُّ فى شــجــر
عــهدى ومـا فــيـه من ذى خـضـرةٍ أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى
عــيــدانك العــوج ذاك العطر والزَّهر
أنا ســألنا ، ولو عــاد الســؤال إلى
فـحـوى الضـمـائر لم نعـرفـه يا شـجـر
سلنا بحـقك من أين اسـتـجـدَّ لنا
هذا الســرور الذى فى القلب ينتـشـر
كـــلاهمـــا طارقٌ طاف الربيع به
عـلـى براق مـن الأنـوار يـنـحــــدر
سلهُ فـإن لم يُجب فـانعم بمقـدمــه
وافــــرح به ، وانتـظره حـين ينتـظر
إذا أجــاب بأزهار مــفــتَّــحــة
وبالســرور ، فـحـسـبى ذلك الخـبــر

* * *

الوجود!

لاتنازع الوجود

ليس السر الأكبر هو تنازع الوجود، بل السر الأكبر هو الوجود نفسه كيف كان وما الذى يبعث إلى التنازع فيه؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشىء يحتاج هو نفسه إلى التعليل، وأنت لاتعطينى الكنز إذا وصفت لى صراع الطامعين فيه، وكذلك لاتعرّفنى سر الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لى تنازع البقاء:

«نزاع بقـــاء» فـــصَّلوه وعـــددوا
ورامـــوا به سـر الوجـود فـأبعـدوا
أيوجـد مـخلوق ليـحـمى نفـسـه
من الخلق؟ أم يبغى الحمى حين يوجد؟
هو الســر كل الســر أنك كـــائنٌ
وأنك تبغى الكون [1] والكون مُجـهـد
فـــلا تُحص ألوان النزاع فـــإنما
هنا الســر والكنز الذى عنك يوصـد
أمـــعطىَّ كنزًا إن عـــرضت لناظرى
صـراعًـا على أعـتـابه يتـجـدد؟

***

تجربتى

تجـــربتى! أين أنت تجـــربتى؟
يا كـتـبى. أين أنت يا كـتـبى؟!

---

(١) الكون: مصدر كان، وهو الوجود.

لم تمنعى دمــــعــــة تؤجـــجــــهـــا
في القلب نار العـــذاب والغـــضب
إليك عنى ! فلست مـــانعـــة
حـــزنى ، وقـــد تمنعـــيننى طربى
وقـــد تشـــوبين لى الصـــفـــاء ومـــا
تُصـــفين عـــيشى من كـــدرة الريب
لهـــفى على غـــرة أعـــيش بهـــا
غـــفــلان ، والفـــاجـــعـــات عن كـــثب[1]
لهــــفى على جُنة أهيم بهـــا
مـــقـــهـــقـــهـًــا بين فـــادح النوَب

* * *

قربان القرابين

مـــافى القـــرابين ولا الأعـــيـــاد
أبرُّ فـــى اللــب وفــى الفـــــؤاد
من يوم حبٍّ بالحـــيـــاة شـــاد
مـــدخـــر منتظر الميـــعـــاد
تبـــذله للمـــوت والحـــداد
رعـــيًـــا لمن باتوا على وســـاد
من الثـــرى فى غـــيـــر مـــا رقـــاد
وقطعـــوا فى القـــبـــر كل زاد

* * *

(١) عن قرب .

الفن الحى

أو الحياة الفنية

خـذ من الجـسم كل مـعنى ، وجسِّم
من مـعـانى النفـوس مـا كـان بكرا
حـبـذا العـيش يبدع الفكر جـسمـا
نجـتليـه ، ويبـدع الجـسم فكرا
ويرى الفن كـالحـيـاة حـيـاة
ويرى للحـيـاة فنّاً وشـعـرا
ضلَّ من يفـصل الحـيـاتين جـهـلا
واهتـدى من حـوى الحـيـاتين طرا

* * *

عمر السعادة

إن السعادة هى الكفاية ! والاكتفاء بدء التحول والاستغناء ، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها . . . فإن لم تُغرنا بذلك فهى كالنور الذى ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب ، فتخلق لنا أسبابًا كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافية علينا ، إذ نحن نريد الدنيا أبدًا رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة ، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل :

ثق بالرهان على عمر الزجاج ولا
تثق بعمر سعيد طال أو قصرا
لعل أسعد حيٍّ أنت مُصبحه
يموت قبل نزول الليل منتحرا
وفى السعادة مايُغرى بفرقتها ،
إن الكفاية تكفى من رأى ودرى
وربما شوهت دنياك أجمعها
إذا رأيت بها عيبًا ، وإن صغرا

* * *

العراف

من عهود مجهولة وديار
هى أخفى من عمره مستقرا
حمل اللحية التى تنسج الد
هر ، وتبديه للنواظر شعرا
هو غيبٌ فكيف لايعلم الغيـ
ـب ، ودهر فكيف يجهل دهرا
خلفه للزمان سر ، فهل يطو
ى غدٌ من أمام عينيه سرا ؟
فى خفايا المجهول عاش فسله
عن خفايا المجهول ينبئك جهرا

* * *

التقديس

عـــارف التـــقـــديس رو حيٌّ ،وإن قـدس جـسـمـا
ومـهين الجـسم جـسـمـ ـيٌّ ، وإن كـــان «بَرْهمـــا»
أنت بالتـقـديس تسـمـو لا بما قـدستَ تُسـمـى
وهــى الأعــين لا الـنـو ر التى تجلو ، وتعـمـى

***

يوم شتاء

يوم بيت لا يوم خـوض الدياجى
فـائج مـا بين صـفـحـة وسـراج
وجـمـال من النفـوس يُناجى
فى أسـارير وجـهـه ويناجى
مـسـتـهلين والطبـيـعـة غـضـبى
وكـلانا من هولهـا الصـعب ناج
نتـحـدى الرياح والليل والأهو
ال طرّاً بصـفـحـة من زجـاج !
فـإذا مـا يروع منهـا ويضنى
نتلقـاه ههنا بابتـهـاج
كـالذى يشـهـد الكوارث فنّاً
من فنون التـمـثـيل والإخـراج

***

السرور

منع السـرور حـذار قلبى قـبله
إن لا يتم ، وبعـده التنغـيـصـا

ويزيدني كلفـــــا به وضنانة
ألا يبـــاح - إذا أبيح - رخيـــصا

* * *

القديس

إن يجهل الناس ما القديس في خلق
فأنت وحدك ؛ قديس السماوات
لا مانح الخير كل الخلق تحمده
أو مانح الخير مجزّياً بجنات
أو مانح الخير يرويه ويرسله
في حاضر من سواد الناس أو آت
منحت خيرك تأبى أن يذاع ، وقد
تخشى عقوبته في يوم ميقات
منحته من سخاء لاجزاء له
إلا مسرة وهّاب المسرات
تلك القداسة حقًا لا قداسة من
يزدان بالعرف في سمت وإخبات[1]
تلك القداسة من نور وإن سُترت
كأنها الذنب في ليل الخطيئات

* * *

نسختان !

خذ من رجائك نسختين ولا تصن
أبدا رجاءك في كتاب [2] واحد

---

(١) الإخبات هو التخشع . (٢) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب ، أو «الخطاب» .

فإذا الْتَوتْ إحداهما عن قصدها

لم تخطئ الأخرى سبيل القاصد

* * *

العزاء جملة

غنيتُ عن العزاء، وهل عزاء

لمن قبل المصاب رأى المصابا

تسلفتُ الفجائع فى ارتقاب

وحسبى أن أهوِّنها ارتقابا

لقد هانت خطوبى حين باتت

حياتى كلها خطبًا عُجابا

فإن شئتم فعزوا فى حياتى

مجازفة، ولاتحصوا الحسابا

* * *

مناجاة الدنيا

يقول الحى : إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هى الخاسرة، والحى لايشعر بخسارة فقد الحياة .

وتقول الدنيا : إن حيًا يجىء يغنيها عن حى يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا خسارة عليها .

ويقول صوت خالد لاهو صوت الأحياء ولاهو صوت الدنيا : إن الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفنى أبدًا أو يَفنى أبدًا، وإنما كل كائن له دور فى الإفناء ودور فى الفناء :

إن تكن غايةُ سعى الحى موتٌ فيـك يا دنيا فأنت الخاسرة
أو يكن بعد فناء الميْت عيـشٌ فيـك يا دنيا فأنت العامرة
نحن إن عدنا إليك الخاسرون

***

فأنت الدنيا : بحىٍّ بعد حى أنـــا أستبقـى ينابيع الحياة
فامكثوا فىَّ نفوسًا أو تـــرابًا مـا على الحالين عندى من شكاة
إن ذهبتم فكما كنت أكون

***

قال صوت ليس بالدنيا ولا هــو بالنـــاس ولا غيرهما
فيه منها ثم منهم أثــــرٌ ثــم من شىء سرى بينهما
كلُّنا نحن حـــيـــاة ومنونْ
كلنا يفنى ويُفنى ويصـــون
كلنا مفترقون . كلنا متحدون !

***


متفرقات

إلى الأستاذ مكرم [1]

يا من أسى جرح مصر فى ضمائرها
جراحُ جسمك تأسو مصر شكواها
إذا شكا مكرمٌ فدَّته أمته
كما رعاها وحياها وفدَّاها
الله والنيل قد صانا وقد عرفا
من ليس يعرف إلا النيل والله

* * *

تهنئة

ولدى فى البيان والأدب | تلك قبرى من أكرم القُرب
كن أبًا واستمع نداءك من | كل نجل بذلك اللقب
فإذا حفَّك البنون بما | شئت من بهجة ومن لعب
وإذا ما بلغت فى عقب | فوق ما قد بلغت فى نسب
وإذا ما ارتقيت فى رتب | أبدًا ترتقى إلى رتب
كان لى الفخر أن دعوتك يا | ولدى ، أو دعوتنى بأبى
إنَّ فى حافظ [1] لمفخرة | لذويه وصحبه النجب

* * *

تقريظ

لك شعر يحكي سريرة نفس
رُكِّبَتْ من صراحة ونقاء

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة : «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية فى المستشفى القبطى .

(٢) قيلت فى تهنئة الأديب : «المهذب حافظ جلال» بخطبته .

جُـبلتْ كـالفـراش فى أمـة الطـ
ـير خـفـوقًـا بين الندى والضـيـاء
واسـتـوت فى الحـيـاة فـوق جناح
مـسـتطار الخطى رقـيق الغـشـاء
فـتـعـهـّدْ حـدائق الشـعـر والبسِ
حلل الروض ، واطّلع فى السـمـاء
وانشـد النور فى جـوائك واطلب
بعـدها الشـمس فى رحيب الفـضـاء
أنت يا طاهر (١) الفـؤاد جـديـر
من مـحـبـيك بالرضـا والثناء
لك يومٌ مـوفٍ بأجـمـل سـعـيٍ
وغَـدٌ مـقـبلٌ بخـيـر رجـاء

* * *

أسود يلتحى

ألَيس كـفى هذا السـوادُ فـزدتَه
سـواد غـراب فى لحـاك مـعلق ؟
سـريت برأس لاحـدود لوجـهـه
فـمـازال فـيـه الليل بالليل يلتـقى
ألا فـانتظر حـتى تشيب فـقـد ترى
سـوادك مـحـفـوفًـا بأبيض مـشـرق
وأخلقُ أن يرتـادك الشـيـب حـالكا
على حـالك ، لو كـان يجـرى بمنطق

(١) هو الشاعر الأديب :« طاهر الجبلاوى» ، والأبيات نظمت فى تقريظ ديوانه : «ملتقى العبرات» .

نبوءة[1] أو وسواس

يا نبيِّى العزيز ! أنت نبىٌّ ... غلبته وساوس الشيطان !

غلبته الشكوك لا عن بيان ... ناطق بالهدى ، ولا برهان

موجسًا من خيانة فى ثنايا الغـ ... ـيب ، والغيبُ صارم الكتمان

دلّه حدسه عليها وما دلَّ ... على موضع لها أو زمان

أو على آثم جناها وأخفى ... سرها عن رقيبه اليقظان

قل لنا السر كله يا نبيِّي ... أو فها نحن فى الهوى سيان

أعرف الناس خائنين فهلا ... زدت شيئًا علىَّ فى العرفان

يا نبيِّى ، فاشرح لنا أنت ماقد ... كان ، لا ما يكون فى الإمكان

* * *

البيلا[2]

البيلا . البيلا . البيلا ... ما أحلى «سُلب البيلا»

* * *

هاتوا البيلا واسقونى ... هاتوا البيلا . داوونى

الطب «ودينى» يوصينى ... بالبيلا ، تحيا البيلا!

البيلا . البيلا . البيلا ... ما أحلى البنت البيلا !

* * *

(١) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن ، والشاعر يقول فى هذه القصيدة :إن هذه النبوءة لاتعدو القول بأن الخيانة موجودة فى الناس ، وهذا شىء نشترك فى علمه أجمعين .

(٢) البيلا : أى البيرة . . والقصيدة منظومة فى طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقدارا قليلا جدا من الجعة يشربه بين حين وآخر ، فألف الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة . وفى القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضى أمره . فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير .

مـــالى ومـــا للشكولاتا تمشى لى تـاتـا تـاتـا
بطلٌ مــثلى هيـــهـــاتا بالحلوى ينسى البيـــلا
البيـلا . البيـلا . البيـلا أبدا لا أنسى البـيـــلا

* * *

يوم رضـاعى خـدعـونى بالبـيـــلا لم يرروونى
من ثديى لاتسـقـــونى اسقونى ، اسقونى البيلا
البيـلا . البيـلا . البيـلا هاتوا لى كـأس البـيـــلا

* * *

اخطف كـــأسى بالكفين خطف المفطوم الثـــديين
إن أغـمض عينيه الثنتين فـتـحت عـينى البيـلا
البيـلا . البيـلا . البيـلا «نور العـــينين» البـيـــلا

* * *

بالبـيـــلا كنت حكيـمـا أرضى بالمر عليــمـــا
طمعا فى الصبر وفيـمـا يحلو من وعـد البـيـــلا
البيـلا . البيـلا . البيـلا مـا أحلى وعـد البـيـــلا

* * *

قـالوا السكران العـربيـد ! عـربيـدٌ أنا بالتـأكـيـد
أرقص ، وأغني ، وأجـيـد فى سـاعـة «سلب البيـلا»
البيـلا . البيـلا . البيـلا غنوا فى نخب البـيـــلا

* * *

لقبى فى صحبى «همًّـا» ظلمـونى فى اسمى ظلمـا
إن نادوا البـيـــلا يومًـا أغلطُ فى اسـمى والبيـــلا
يحـيـا «هِمَّـا» والبـيـــلا البيـلا . البيـلا . البيـلا


هجاء

هجاء الدهر

أباسمٌ تُغني ؟ لُعنتَ شرٌ لعن
وإن عداك المثنى خذ الثناءَ مني
يادهر وامض عني

* * *

كن عابسًا قطوبا أو ضاحكًا طروبا
ما أشبه الموهوبا عندك والمسلوبا
إليك ! دعني دعني

* * *

ما أقبح اللئيما مبتسما كظيما
أدنى اليه سيما أن يُبتلى دميما
يعوى ولا يُغنِّى

* * *

أمانحى السرورا ؟ خذه و بن مدحورا
لولم أكن موتورا أشكو الأذى المقدورا
ما شاقني بحسن

* * *

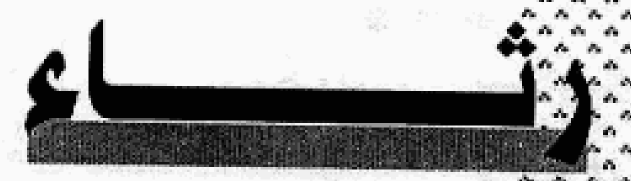
أين الجمال أينا ؟ كلُّ الجمال منّا
إن شئت لا إن شئنا فقرَّ أنت عينا
وخلّنا في أمن !

خنزير أعجف!

فـــيـــه خنزيرية ظاهرة ما نفاها عنه ذاك العـجف
هو خنزير ولكن شـــأنه جسدٌ فى وضعـه منحـرف

اللؤم خالد

يا عـصـبـة اللؤم مـهـلا بعضَ غـيرتكم
فـــاللؤم لاينـقـــضـى إن لم تُجلوه
ســيـخلد اللؤم فى الدهر اللئـيم وإن
أذلـه أهـلـه ـ لـؤمًـــــــا ـ وملّوه


رثاء

نصيب الحى والميت

يا صـــديقى لنا البكاء ولك الموت والســـــلام
عـنـدنـا الـنـور والـعـنـاء ! عـنـدك الـنـوم والـظـلام !
لـيس يـأسـى أخـــو فـنـاء بل أخٌ بعـــده إقـــام

* * *

أتبعُ الصحبَ فى القبـور ببكائى ، ومـــا اهتـــديتْ
أنا لو دام لى الشـعــور بعــد مــوتى لما بكيتْ
عـــالمٌ كـلـه غـــرور عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

* * *

هـالـكُ كـلُّ مـــا يـكون تستوى النفس والصفـاة
فلمن تحـــصد المنون ولمن تزرع الحـــيـــاة ؟
بـدأت حـكمـــة الجنون وانتـهت حكمـة الهـداة

* * *

رفيق الصبا (١)

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا
ومـا كـان أغلى مـا بكيت وأطيـبـا
وآذن فـيـك الصـبـر أن لا يعـيـننى
وآذن فـيـك الحـزن أن يتـغـلبـا
أألقـاك عند النيل إن عـدت فى قنا
وأرعـاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟

---

(١) رثاء الصديق : «حسين الحكيم» من أدباء قنا المعروفين بالورع .

ونستنشد الأشعار في كل ليلة

ونطلب في كل الأحاديث مطلبا

ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً

على الأرض إلا كي يقولَ ويخطبا

ونحصى على الدهر البرىء ذنوبه

وما كان إلا مازحًا حين أذنبا

أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى

فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا

إذا عدت أستحيى الشبابين في قنا

وجدتك رسما في التراب مغيبا

وساءلت عنك الصحبَ أين مزارهُ

وأذريت دمعًا عند قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبّب

إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا

حسين ! عرفت الموت فيك غريبة

وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا

أمَنْ هو في ذِكرِى فتى العمر ينطوى

كما طوت الأسقام شيخا معذَّبا ؟

نعم ينطوى الشبان والشيب في الردى

ورب فتىً في الردى فات أشيبا

وسيان فى عقبى الطريقين من مشى

على عصويه من عياء ، ومَن حبا

عهدتك فى شرخ الصبى ناضر الصبى

وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا

ألا ليته لم يعرف الصدق عمره

ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

***

رفاق حسين أبّنوه وأطنبوا

فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا

لقد كان ميمون النقيبة صالحًا

وكان أمين السر والجهر طيّبا

وكان عفيف القول لايقرب الأذى

ولايذكر الإخوان إلا تحبُّبا

وكان على كنز القناعة آمنًا

وإن قصر المسعى بدنياه أو نبا

إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفسٌ

تحرَّجَ منها مُعرضًا وتحوَّبا

وكان عزيز النفس فى غير جفوة

ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا

وكـان سـمـيـرًا يملك السمع كلمـا

تبـسط فى أسـمـاره وتشـعَّـبـا

أديبًـا يصـوغ الشـعـر والنثـر فطرة

ويؤثر فى الآداب من كـان مـعـربا

أليـفًـا وفـيّـاً لايفـارق صـاحـبًـا

ولا منزلاً إلا انثنى فـتـقـرَّبا

أحبَّ قنا واستـعـذب العـيش فى قنا

فلم يُغـره عـيش ، وإن كـان أعـذبا

لئن ذكـر الوافـون عـهـد ولائه

لما ذكـروا إلا الوفىَّ المهـذَّبا

* * *

رفـاق حـسين أسـهـبوا فـيـه واذكـروا

رفـيـقـا له يعتـاده الحـزن مـسـهـبـا

على كـثب منه اجـتـمـعـتم فليت لى

مكانا من الجـمع القنائىِّ مكـثـبـا

كـأنى وقـد فـارقـتـه قـبل يومـه

سـمـعت له نعـيين يوم تغـيُّـبـا

* * *

إذا مـا رثى المحـزون إلف شـبـابه

رثى قلبـهُ شطرا من القلب مخـصبـا

وودع من عـهـديه فى العـمـر قِبلةً
أخفَّ على الروّاد زادًا وأرحـــبــا
إذا جـازها أودى بمختـار عيـشـه
ولم يبق إلا مــا اتقى وتهـيـبـا

* * *

أليف الصبى لاتشكُ فى الموت وحشة
فـمازال ركب الموت أحـفل مـوكـبا
تعــاقـبت الأجــيـال تحت لوائه
وإن بعـدوا دارًا وعــهـدًا ومــأربا
ومـا الزمن المحـضـور إلا بقـيـةٌ
من الزمن الماضى تلاقت لتـذهبـا
عليك ســلام الله حـتى يظلنا
ســلامٌ أظل الناس شـرقًـا ومـغـربًا

تذييل
فى اسم الديوان

جاءنى بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان فى الصفحة الأدبية بالجهاد استفهام من بعض الأدباء يسألنى فيه بلهجة لاتخلو من الاعتراض : هل يحرم إذن على الشاعر المصرى أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لامحل له ، لأننى لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين ، وإنما قلت : «من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع فى هذه الأجواء» .

فالذى يلام عليه الشاعر أن يدع طائرًا مغردًا جميل التغريد لاشك فى وجوده وكثرته فى الأجواء المصرية ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفًا على فصائل من الطير توجد عندنا فى بقاع محدودة أو لا توجد إلا أيام الهجرة العارضة .

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبنى سويف ويتفرق على قلة فى أنحاء الصعيد ، وقلما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية .

أما الطائر الذى يقرءون عنه فى الآداب الأوروبية أو الفارسية ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصرى «أولا» ولكنه إما أن

يكون العندليب أو الهزاز أو فصيلة أخرى ، وهذه الفصائل - بعدُ - مهاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجرة المصرية .

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم فى جميع أجوائنا ، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها ، ولايُفهم من ذلك إلا أن الناظم يطرب على المحاكاة ولايفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار .

الفهرس

من مؤلفات عملاق الأدب العربى الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ ـ الله
٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء
٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ ـ عبقرية محمد ﷺ
٥ ـ عبقرية عمر
٦ ـ عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ ـ عبقرية خالد
٨ ـ حياة المسيح
٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ ـ عمرو بن العاص
١١ ـ معاوية بن أبى سفيان
١٢ ـ داعى السماء بلال بن رباح
١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ ـ هذه الشجرة
١٦ ـ إبليس
١٧ ـ جحا الضاحك المضحك
١٨ ـ أبو نواس
١٩ ـ الإنسان فى القرآن
٢٠ ـ المرأة فى القرآن
٢١ ـ عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ ـ رجعة أبى العلاء
٢٦ ـ رجال عرفتهم
٢٧ ـ سارة
٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية
٢٩ ـ الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ ـ مايقال عن الإسلام
٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية
٣٣ ـ الفلسفة القرآنية
٣٤ ـ الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوربية
٣٦ ـ الثقافة العربية
٣٧ ـ اللغة الشاعرة
٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ ـ أشتات مجتمعات
٤٠ ـ حياة قلم
٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور
٤٢ ـ مذهب ذوى العاهات
٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية

٤٥ – الصهيونية العالمية

٤٦ – أسوان

٤٧ – أنا

٤٨ – عبقرية الصديق

٤٩ – الصديقة بنت الصديق

٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية

٥١ – مجمع الأحياء

٥٢ – الحكم المطلق

٥٣ – يوميات – جزء أول

٥٤ – يوميات – جزء ثانى

٥٥ – عالم السدود والقيود

٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية

٥٧ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة

٥٨ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية

٥٩ – آراء فى الأدب والفنون

٦٠ – بحوث فى اللغة والأدب

٦١ – خواطر فى الفن والقصة

٦٢ – دين وفن وفلسفة

٦٣ – فنون وشجون

٦٤ – قيم ومعايير

٦٥ – ديوان فى الأدب والنقد

٦٦ – عبد القلم

٦٧ – ردود وحدود